أوروبا تعتنق الإسلام

تأليف

الدكتور عفيف عبد الحافظ الغنيمات



أوروبا تعتنق الإسلام

شارع الملكة رانيا – مقابل كلية الزراعة – عمارة العساف – الطابق الأرضي، هاتف: 009626 5343052 – فاكس : 0096265356219

الطبعة الأولى

2016

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(2015/5/2358)

215
الغنيمات، عفيف عبد الحافظ
أوروبا تعتنق الاسلام // عفيف عبد الحافظ الغنيمات
عمان: دار جليس الزمان 2016
الواصفات: الدعوة الاسلامية // أوروبا .
ردمك: ISBN 978-9957-81-247-4

أوروبا
تعتنق الإسلام

شارع الملكة رانيا – مقابل كلية الزراعة – عمارة العساف – الطابق الأرضي، هاتف: 5343052 009626 – فاكس : 0096265356219

الطبعة الأولى

2015

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(2015/5/2358)

215

الغنيمات// عفيف عبد الحافظ

أوروبا تعتنق الإسلام/ عفيف عبد الحافظ الغنيمات

عمان: دار جليس الزمان 2015

الواصفات: الدعوة الإسلامية// أوروبا.

ردمك: ISBN 978-9957-81-274-4

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

أوروبا تعتنق الإسلام

تأليف

الدكتور : عفيف عبد الحافظ الغنيمات

قال تعالى :

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)

سورة آل عمران (9)

وقال تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

سورة آل عمران(85)



الإهداء

إلى كل من يبحث عن الدين الحق ...

إلى كل من يبحث عن السعادة في الدنيا والآخرة ...

إلى كل من أراد الله أن يشرح صدره للإسلام ... في مشارق الأرض ومغاربها عامة ...

وفي أوروبا خاصة

أهدي كتابي هذا.

المؤلف



الفهرسة

أوروبا تعتنق الإسلام

المقدمة:

يظن كثير من الناس وخاصة من زار الدول الأوروبية، وتجول في مدنها، واطلع على حياة الناس فيها، وتعرّف على عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم ونمط الحياة المدنية التي يعيشونها، يظن هؤلاء الناس بل قد يجزمون أنه من المستحيل أن تعتنق أوروبا الإسلام، وأن هذا الأمر بعيد المنال صعب التحقق.

وهذا الظن من قبل هذه الفئة من الناس؛ يُفسَّر بأمرين: الأول: هو أن العقلية الأوروبية المتحضرة – في نظرهم – المتطورة صناعياً واقتصادياً وعلمياً... إلخ، لا يمكن أن تقبل بالإسلام ديناً لأنها تطورت وتقدمت وازدهرت عندما نبذت الديانة النصرانية، هذا من جانب، ومن جانب آخر أن العقلية الأوروبية عقلية متحررة، تؤمن بالحرية، حرية الرجل وحرية المرأة، يفعلون ما يشاءون، ولكن ضمن القانون.

وأما التفسير الثاني لهذا الظن – هو أن الإسلام يصلح فقط للعرب، فقد نزل في جزيرة العرب ومنها انتشر فهو غير صالح –برأيهم لغير العرب – بل يظن هؤلاء أنه لا يمكن تطبيقه في القرن الحادي والعشرين لما يشهده العالم من حضارة متقدمة، وازدهار علمي تكنولوجي– فهو يصلح للصحراء، ومن يعيشون بها، ولا يصلح – بتفكيرهم – لغير ذلك.

والحقيقة أن هؤلاء الناس مخطؤون في تفكيرهم، مخطؤون في تفسيرهم، وإنني أتنبأ بأن أوروبا ستعتنق الإسلام في يوم ما عاجلاً أم آجلاً، وسوف يكون مدار هذا الكتاب على إثبات هذه النبوءة، وأنها لم تأت من فراغ، ولما كان علم المنطق ينص على أن المقدمات الصحيحة تعطي نتائج صحيحة،

فسوف نبحث في تلك المقدمات وما يترتب عليها من نتائج تُفضي إلى اعتناق أوروبا للإسلام، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله.

وإن هذا الكتاب لم يكتب للمسلمين وحدهم، وإن كان المسلمون يستطيعون أن يفيدوا منه، مزيداً من المعرفة بدينهم، على قول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية).

فمعرفة المسلمين بانحرافات الجاهلية المعاصرة تزيدهم معرفة بكمال الدين المنزل من عند الله تعالى.

ولكني كتبته لكل أوروبي، يرغب أن يعرف شيئاً عن الإسلام، ثم هو دعوة إلى أوروبا – بكل دولها – لتعتنق الإسلام، لأن سر سعادتها يكمن في ذلك.

المؤلف

د. عفيف عبدالحافظ الغنيمات

الفصل الأول: الإمبراطورية الرومانية

المبحث الأول: الإمبراطورية الرومانية قبل الإسلام

من المنطقي ونحن ندرس واقع أوروبا، من أجل تقديم الإسلام بصورته النقية، وذلك باستخدام كافة وسائل الدعوة المتاحة لأسلمة القارة العجوز؛ أن نتحدث في البداية عن ماضي أوروبا، وبالتحديد نتحدث عن واقع الدولة الرومانية، أو ما يسمى الإمبراطورية الرومانية قبل الإسلام، من حيث الحالة الدينية والفكرية، والاقتصادية والاجتماعية.

لقد وصل حال الناس على الأرض عامة، قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مرحلة عالية من الانحطاط والفساد والطغيان، حتى نظر الله تعالى إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب)(1).

لقد جلب عليهم هذا الانحطاط، وذاك الفساد والطغيان مقته سبحانه وتعالى، والمقت هو شدة الكراهية، واستخدام الرسول صلى الله عليه وسلم لكلمة (بقايا) يوحي بالأثرية، أي كأنهم آثار من عهود سحيقة، لا قيمة لها في واقع الناس، ومن جانب آخر فإن هذه البقايا لم تشكل مجتمعات كاملة بل كانت أفراداً معدودين.

الدولة الرومانية: الحالة الدينية والفكرية:

ومن هؤلاء الذين نظر الله تعالى إليهم فمقتهم في تلك الفترة الرومان، حيث مزقت الخلافات العقائدية بين طوائف النصارى أواصر هذه الدولة، فالخلاف بين المذاهب الأرثوذكسية والكنيسة الشرقية من ناحية، والمذهب الكاثوليكي والكنيسة الغربية من ناحية أخرى، كان خلافاً حاداً أسفر عن حروب مدمرة قُتل فيها عشرات الألوف.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة ونعيمها، رقم (2865).

بل في داخل الدولة الرومانية الأرثوذكسية الشرقية ذاتها اشتعلت الخلافات العقيمة بين طائفة المكانية والتي تعتقد بازدواجية طبيعة المسيح، وطائفة المنوفستية، وهم أهل مصر، والحبشة ويعتقدون بطبيعة إلهية واحدة للمسيح.

وكانت طائفة المكانية تقوم بتعذيب الطائفة الأخرى تعذيباً بشعاً، فيحرقوهم أحياناً، ويغرقوهم أحياناً أخرى، مع أنهمن جميعاً أبناء مذهب واحد هو الأرثوذكسية.

وقد ظلت هذه الخلافات العقائدية مستمرة، حتى جاء الفتح الإسلامي لمصر، فشكل لأقباطها خلاصاً من اضطهاد وتعذيب الدولة الرومانية لهم.

يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: وخلاصة القول أن النصرانية الحقة فقدت روحانيتها ووحدانيتها، لما أدخله إليها داعيتها الكبير (بولس) من تعاليم وثنية نشأ عليها قبل تنصره، ولما تنصر الإمبراطور البيزنطي قسطنطين أدخل إليها مزيجاً من الخرافات اليونانية والوثنية والرومانية والأفلاطونية المصرية والرهبانية، وبذلك تحرفت الديانة وضاعت تعاليمها الأصلية، وانحدرت إلى عبادة القدسين والصور.

وهذا الخلاف المذهبي يوضح مدى الانحدار الفكري والانحراف العقدي الذي أصاب شعوب الإمبراطورية حتى جعلوا عيسى عليه السلام وهو عبدالله ورسوله إلهاً واحداً سبحان الله عما يقولون، وكانت طبقات المجتمع البيزنطي جميعاً تؤمن بالتنجيم، والتنبؤ بالغيب، والعرافة، والاتصال بالشياطين والتمائم.

الحالة الاقتصادية:

كما لم تنجُ حياة الرومان في داخل دولتهم من القسوة، فقد فرضت الدولة الضرائب الباهضة على كل سكان البلاد، وكان أكثرها وأثقلها على الفقراء دون الأغنياء.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: ولم تكن هذه الدولة في الوقت نفسه أقل انحلالاً من دولة الفرس، فقد كانت تسودها حياة التبذل والانحطاط والظلم الاقتصادي من جراء كثرة الإتاوات، ومضاعفة الضرائب[1].

وكان المجتمع الروماني ينقسم إلى أحرار وهم السادة، وعبيد وهم ثلاثة أضعاف الأحرار، من حيث العدد، ولا يتمتعون بأي حقوق، بل مصيرهم في أيدي سادتهم، وكما أنهم ليس لهم أي احترام وسط المجتمع، لدرجة أن الفيلسوف أفلاطون نفسه صاحب فكرة (المدينة الفاضلة) كان يرى أنه يجب أن لا يعطى العبيد حق المواطنة!

الحالة الاجتماعية ووضع المرأة:

ولم تكن القسوة مع العبيد والفقراء فقط، بل وصلت – وبقوة – إلى المرأة الرومانية ذاتها ففي رومية اجتمع مجمع كبير بحث في شؤون المرأة، فقرر بعد عدة اجتماعات أن المرأة كائن لا نفس له، وأنها لهذا لن ترث الحياة الآخروية، وأنها رجس، ويجب ألا تأكل اللحم وألا تضحك! ومنعوها من الكلام حتى وضعوا على فمها قفلاً من حديد، فكانت المرأة من أعلى الأسر وأدناها ، تروح وتغدوا في الطريق أو في دارها وعلى فمها قفل.

---

(1) فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، ص30.

وبهذا يتضح ما كانت تعانيه هذه الأمبراطورية من تخبط اقتصادي وانحطاط أخلاقي، وظلم اجتماعي، وانحراف عقدي، وهو أعظمها، وقد تم التحريف لعقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى بن مريم، عليه الصلاة والسلام، على يد (بولس)، الذي كان يهودياً، وكان يُسيم النصارى سوء العذاب، وفجأة دخل في النصرانية حيلةً ليفسدها، وقد كان له ما أراد حيث انحرفت النصرانية إلى عقيدة شركية تمزج بين الألوهية والإنسان.

المبحث الثاني: دور اليهود في إفساد أوروبا

لم يكتف اليهود بتحريف الديانة النصرانية الحقة التي جاء بها عبدالله ورسوله عيسى ابن مريم، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، وذلك كما أسلفنا على يد (بولس) في سالف العهد.

ولحكمة ما أخرج الله هذه الأمة، وأناط بها دوراً تؤديه في التاريخ، اليهود لا ينشؤون الأحداث كما يدعون، وكما يتوهم الذين تبهرهم سيطرة اليهود في الوقت المعاصر، ولكنهم يجيدون انتهاز الفرص واستغلالها لتنفيذ مخططاتهم الشريرة.

ومشكلة هذه الأمة كامنة في جبلتها المنحرفة التي لا تستجيب لدواعي الخير، ولا تستقيم على الهدى.

جحدوا فضل الله تعالى عليهم، وجحدوا أنبياءهم، وجحدوا كل فضل قدمه إليهم أحدٌ من البشر، وقابلوا كل ذلك بإنكار الجميل أو الطمع والجشع والحسد وقساوة القلب.

كرهتهم كل الأمم لخصالهم تلك، فانطووا على أنفسهم، يملأ نفوسهم الحقد الدفين على الأمم كلها، يريدون أن يقضوا على كل شعوب الأرض ليبقوا هم وحدهم، أو يريدون أن يستعبدوا الأمم كلها ويسخروها لمصالحهم.

مشكلتهم الكبرى اعتقادهم أنهم شعب الله المختار، ومن ثم فينبغي أن يكون بقية البشر خدماً وعبيداً لهم، ويكونوا وحدهم هم المسيطرون.

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ

(1) سورة البقرة، الآية (122).

الْمُهِينِ (30) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (31) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (32) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾[1].

ولكنهم عند الابتلاء سقطوا، وجحدوا تلك النعمة الهائلة فلم يرعوها حق رعايتها، بل لم يرعوها بشيء على الإطلاق! ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ فهل ذكروا!؟

قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[2].

تلك صفحتهم السوداء التي أدت إلى نزع العهد منهم ورفع الاختيار عنهم، ومنحه لأمة سواهم.

لقد كان هذا الأمر واضحاً ومقرراً في أمنية إبراهيم عليه السلام، وفي رد الله عز وجل عليه، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[3].

فقد ابتلى الله إبراهيم جملة ابتلاءات كان أشقها وأصعبها أمره له أن يذبح ولده الحبيب إسماعيل، واستجاب هو وولده للابتلاء العظيم.

فلما أتم إبراهيم الابتلاء وجازه بنجاح كبير كافأه الله على ذلك، بجعله إماماً للناس، وهنا تحركت في إبراهيم عليه السلام رغبته البشرية في أن يكون هذا الفضل مستمراً في عقبه، وأن يكون العهد باقياً في ذريته لا ينقطع، فهل جامله الله سبحانه وتعالى، وهو يصطفيه ويقربه ويجعله خليلاً

---

(1) سورة الدخان، الآيات (30 – 33).

(2) سورة البقرة، الآية (87).

(3) سورة البقرة، الآية (124).

له، بأن أجابه إلى طلبه على إطلاقه؟! كلا! بل جاء الرد حاسماً قاطعاً: قال: لا ينال عهدي الظالمين! وكان المعني به هم بنو إسرائيل بالذات.

فلما اختار الله بني إسرائيل فقد اختارهم للابتلاء: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾[1] فكانت نتيجة الابتلاء هي هذا التاريخ الأسود الذي اقترفوه في الأرض، والظلم الذي أنذرهم الله أن يرفع عنهم العهد بسببه ولا يبقيه في أيديهم.

ونزع العهد منهم بالفعل تحقيقاً لسنة الله الجارية التي لا تتغير ولا تتبدل، ولا تحابي أحداً من البشر، نُزع العهد عن (شعب الله المختار) فلم يعد مختاراً بعد، ومنح الله فضله ونعمته لأمة أخرى هي التي قال لها: ﴿ اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[2] وقال عنها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[3]. واشتد الحسد والحقد منذ ذلك الحين.

ولقد جهدوا جهدهم كله لمحاولة القضاء على الأمة الإسلامية في مهدها، حتى يئسوا فانكمشوا إلى حين، ولئن كان مخططهم هو استعباد البشرية كلها، وسحقها تحت أقدامهم، ولئن كان الإسلام عدوهم الأول الذي يحقدون عليه الحقد الأشد فما كانوا حين بدأوا ينشطون نشاطهم الضاري في التاريخ الحديث – ما كانوا يجدون الفرصة السانحة للانقضاض على الإسلام، فبدأوا بأوروبا، إذ وجدوها أيسر منالاً لما كان في حياتهم من الثغرات التي أحدثتها

(1) سورة الدخان، الآية (33).
(2) سورة المائدة، الآية (4).
(3) سورة آل عمران، الآية (110).

الكنيسة، من أخطاء وخطايا، فيسرت لليهود أن يخرجوا من أجحارهم، ويعيثوا فساداً في الأرض[1].

كيف تحرك اليهود لإفساد أوروبا:

فلننظر كيف تحرك اليهود لتنفيذ مخططهم الشرير، وهو استغلال الأحداث الجارية لا إنشاء الأحداث كما يزعمون.

يقول التلمود[2] لليهود: الأمميون (أي كل الأمم غير اليهود) هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار، وكلما نفق منهم حمار ركبنا حماراً آخر. ثم يصف لهم التلمود كيف ينبغي لشعب الله المختار أن يعامل الأمميين: (اقتل الصالح من غير الإسرائيليين ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين)[3].

(إذا سرق أولاد نوح – أي من غير اليهود – شيئاً ولو كانت قيمته طفيفة جداً يستحقون الموت، لأنهم خالفوا الوصايا التي أعطاها الله لهم، أما اليهود فمصرح لهم أن يضروا الأمي)[4].

(إن تجارة البغاء بالأجنبي والأجنبية ليست إثماً، لأن الشريعة براء منهما)[5].

(1) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب ص 79 – 83.

(2) التلمود: هو كتاب اليهود المقدس، غير المنزل، إنما هو من تأليف حكمائهم وله عندهم قداسة أكثر من الكتاب المقدس.

(3) الكنز المرصود ترجمة يوسف حنا نصر الله، ص 84 – 85، بيروت.

(4) الكنز المرصود، ص 72 – 73.

(5) همجية التعاليم الصهيونية، بولس حنا سعد، دار الكتاب العربي، بيروت، ص173، وانظر مذاهب فكرية معاصرة، ص83.

وهذه التعاليم أكثر قداسة من التعاليم الواردة في كتاب الله المنزل التي تدعو إلى البر والخير الذي لم يطبقوه أبداً، ولم يطبقوه في حياتهم أبداً، إلا قليل منهم.

فهم يسعون أبداً إلى نشر الفساد في الأرض، الفساد العقدي والفساد الخلقي، وكل أنواع الفساد، قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

تقول البروتوكولات: (يجب علينا أن ننزع فكرة الله من عقول غير اليهود، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضروريات مادية)[2].هذا هو المخطط الشرير.

لقد ظل اليهود قروناً طويلة يسعون إلى تحقيق هذا المخطط، ويحلمون باليوم الذي يجردون فيه الأمم كلها من دينها، ليبقى شعب الله المختار وحده هو صاحب الكتاب الدين، وعندئذ يتحقق الوعد المزعوم ويحكمون كل البشرية![3]

ولكن هذا السعي ظل خائباً عدة قرون سواء في العالم الإسلامي، أو العالم المسيحي، رغم كل محاولاتهم الشريرة في القضاء عليهما، حتى سنحت الفرصة الكبرى أمامهم حين أخذت أوروبا تنسلخ من دينها وتسعى إلى (التحرر) من ذلك الدين.

هناك واتت الفرصة المرتقبة منذ قرون، لو ظلت أوروبا ذات دين وعقيدة ما استطاع اليهود أن يصنعوا ما صنعوا، ولا أن يفسدوا ما أفسدوا.

---

(1) سورة المائدة: الآية (64).

(2) البروتوكول الرابع.

(3) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص85.

صحيح أن العقيدة التي قدمتها الكنيسة – أو قدمها بولس اليهودي الأصل – إلى أوروبا كانت فاسدة منذ أول لحظة، وأن الدين الذي نشرته الكنيسة لم يكن هو دين الله المنزل.

لقد كانت العقيدة فاسدة، نعم، ولكنها كانت تدعو الناس إلى الفضيلة، وتحذرهم من حبائل الشيطان، وتحذرهم من فتنة الجنس خاصة، وتصل بهم إلى درجة التزمت والرهبانية، والجنس من أشد أدوات اليهود فعالية في إفساد الأمميين!

كانت الأسرة متماسكة والشباب – في الغالب – يتزوج مبكراً، والاختلاط محدود، ودواعي الجريمة محدودة، والحياة بسيطة إلى أقرب الشظف وعيش الكفاف، وفي مثل هذا الجو ماذا يملك اليهود مهما كانت براعتهم في الشر؟! لقد كان تأثيرهم في مجموع الناس معدوماً أو ضئيلاً إلى أقصى حد.

خاصة واليهود في أوروبا في ذلك الحين محتقرون مهينون فوق البغضاء الموجهة إليهم والاضطهاد الحائق بهم على أساس أنهم قتلة المسيح، كما يعتقد المسيحيون!

لقد كانت أهداف الثائرين هي القضاء على رجال الإقطاع ورجال الدين، وأما اليهود فكانَ دخولهم في الثورة الفرنسية لتحقيق هدفين؛ الأول: تحطيم الإقطاع، وأما الهدف الثاني فقد كان تحطيم نفوذ الكنيسة ورجال الدين، وهذا الذي حوله اليهود – لحسابهم الخاص – إلى تحطيم لذات الدين[1].

كانت الثورة الفرنسية حدثاً ضخماً في حياة أوروبا دون شك، لا للأسباب التي يدرسونها للأولاد في المدارس، ولكن لأسباب أخرى أخطر وأهم، فقد

---

(1) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص 87.

أطلقت يد اليهود لتحقيق مخططاتهم الشريرة بصورة لم تكن متاحة لهم من قبل في عهد الإقطاع، فقد ولد من جراء الثورة الفرنسية، والثورة الصناعية التي كانت الأولى تحضيراً وتمهيداً لها، مجتمع جديد كل الجدة عن المجتمع الإقطاعي، حيث استطاع اليهود أن يعيثوا فيه فساداً بكل قوتهم، لأنه ولد في أيديهم منذ اللحظة الأولى فاستطاعوا أن يشكلوه على النحو الذي يريدون، إذ كانوا هم – عن طريق البنوك والإقراض بالربا – ممولي الرأسمالية وسادتها، المسيطرون عليها، والمسيطرون – من خلالها – على صياغة المجتمع الجديد بكل ما فيه من عقائد وتصورات، وأفكار وسلوك، وإذا كان (الأمميون) في أوروبا قد بدأوا ينسلخون من دينهم ويسلمون قيادهم للشيطان! [1]

استطاع اليهود – بعبقريتهم الشريرة – أن يتسلموا قيادة المجتمع الأوروبي، فأنشأوا على أنقاض المجتمع الإقطاعي المنهار مجتمعاً جديداً بلا دين، ولا أخلاق ولا تقاليد.

وقد سلطوا على هذا المجتمع كل قواهم الشريرة لينشئوه على هذه الصورة، فوضعوه بين فكي كماشة هائلة تعصره عصراً وتفتت كيانه وتحيله كياناً ممسوخاً بلا قوام!

إحدى ذراعي الكماشة كانت نظريات (علمية) زائفة، تحارب الدين والأخلاق والتقاليد، وكان أبرز الأبطال في هذه المعركة ثلاثة من أساطين اليهود، هم ماركس وفرويد وحاييم دركايم.

وأما الذراع الأخرى للكماشة فكانت واقعاً فعلياً يقوم من أول لحظة على عداء مع الدين والأخلاق والتقاليد، وكان اللاعب الأكبر في هذه العملية

(1) المرجع السابق، ص90.

الضخمة هو المرأة (المتحررة) اقتصادياً، والمتحللة في ذات الوقت من سلطان الدين والأخلاق والتقاليد[1].

(1) ينظر مذاهب فكرية معاصرة، بتصرف ص92.

الفصل الثاني: النصارى

ملوكهم – رهبانهم – عامتهم

يؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم

النصارى: ملوكهم – رهبانهم – عامتهم يؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبعونه

مقدمة

منذ بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بل وقبل البعثة عرف علماء النصارى علامات النبوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما بشر بها عيسى عليه الصلاة والسلام، وكما هي موجودة في الإنجيل الذي بين أيديهم آنذاك مما لم تناله يد التحريف.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1].

فمعظم الرهبان النصارى الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم شهدوا له بالنبوة، وأقروا له بالرسالة تماماً كما وجدوها في الإنجيل، وكما بشر بها عبد الله ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام مسطورة في الإنجيل فما وسعهم إلا اتباعه والدخول في دينه الذي هو امتداد لدين الله ، دينٌ واحد منذ آدم عليه السلام إلى آخر الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، إنه الإسلام، وسوف نتحدث عن هؤلاء حسب التتابع الزمني.

(1) سورة الصف، الآية (6).

المبحث الأول: الراهب بحيرا

لما أتم النبي صلى الله عليه وسلم من العمر اثنتي عشرة سنة، سافر عمه أبو طالب إلى الشام في ركب للتجارة، فأخذه معه، ولما نزل الركب (بصرى) مروا على راهب هناك يقال له (بحيرا) وكان عليماً بالإنجيل، خبيراً بشؤون النصرانية، وهناك أبصر بحيرا النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فجعل يتأمله ويكلمه، ثم التفت إلى أبي طالب فقال له: من هذا الغلام؟

فقال: ابني، وكان أبو طالب يدعوه بابنه لشدة محبته له، وشفقته عليه.

فقال الراهب بحيرا:

ماهو بابنك، وما ينبغي أن يكون أبو هذا الغلام حياً،

فقال: هو ابن أخي.

فقال: فما فعل أبوه؟

قال: مات وأمه حبلى به.

قال بحيرا: صدقت، فارجع به إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه هنا ليبلغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم.

فأسرع به أبو طالب عائداً إلى مكة[1].

يدل حديث بحيرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث رواه عامة علماء السيرة، ورواتها، على أن أهل الكتاب من يهود ونصارى، كان عندهم علم ببعثته عليه الصلاة والسلام، ومعرفة بعلاماته، وذلك بواسطة ما

---

(1) فقه السيرة، البوطي ، محمد سعيد رمضان ، ص 48.

جاء في التوراة والإنجيل من بعثته وبيان دلائله وأوصافه، والدلائل على ذلك كثيرة مستفيضة.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله:

(ولا ينافي هذا أن كثيراً من أهل الكتاب ينكرون هذا العلم، وأن الأناجيل المتداولة خالية من الإشارة إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فمن المعلوم بالبداهة ما تقلب على هذه الكتب من أيدي التعديل والتغيير المتلاحقة وصدق الله إذ يقول في محكم تبيانه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].[2]

(1) سورة البقرة، الآية: (77- 79).

(2) فقه السيرة، ص 49.

المبحث الثاني: ورقة بن نوفل

وهنا صفحة جديدة مشرقة مع هذا الحبر العظيم الذي بشّر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي هذه الأمة، وتمنى أن يكون شاباً لينصر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونترك الكلام للإمام البخاري ليحدثنا ما روى في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قصة بدء الوحي، قال: أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزوّد لمثلها، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ.

قال: «ما أنا بقارئ».

قال: «فأخذنى فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني».

فقال: اقرأ.

قلت: «ما أنا بقارئ». فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني.

فقال: اقرأ.

فقلت: «ما أنا بقارئ». فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني.

فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾[1]».

فرجع بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «زملوني زملوني».

فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي».

فقالت له خديجة: كلاّ والله! ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى – ابن عم خديجة – وكان امرءً قد تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيراً قد عمي.

فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يُخرجك قومك.

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أومخرجيَّ هم».

---

(1) سورة العلق، الآيات: (1 – 3).

قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مُؤزراً.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي[1].

لقد أظهر هذا الحديث أن ورقة بن نوفل كان حبراً عظيماً متبحراً في علم الإنجيل راسخاً في العلم، عندما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى في الغار.

قال بكل ثقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، أي الملك جبريل عليه السلام الذي قضى عمره ينتظر نزوله على نبي، وأخيراً نزل، ولكن كان الحبر في آخر أيامه تمنى لو كان هذا اللقاء بينه وبين خاتم النبيين لو كان في شبابه، يقول بحسرة: يا ليتني فيها جذعاً، أي شاباً قوياً، لماذا هذه الأمنية، فجاءت الإجابة، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، نعم، تمنى أن يكون شاباً لينصر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما آن للنصارى في الكون عامة، وفي أوروبا خاصة أن يقتدوا بهذا الحبر العظيم، فيؤمنوا بالله عز وجل الواحد، ويتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة بورقة بن نوفل، ومن قبله بحيرا الراهب، ومن سيأتي ذكرهم من علمائهم وملوكهم، استجابة لبشرى عيسى بن مريم عليه السلام، و﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[2].

فإن فعلوا فازوا في الدنيا والآخرة، واتبعوا أمر عيسى بن مريم عليه السلام، وأطاعوه فيؤتهم الله أجرهم مرتين، وعندها سيذوقون حلاوة الإيمان، وتنشرح صدورهم ونفوسهم، وتطمئن قلوبهم، والله تعالى يقول على

(1) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (3).

(2) سورة الصف، الآية (6).

لسان عيسى عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

لقد أعطى الله ورقة بن نوفل علم التوراة والإنجيل، وأطال الله في عمره أكثر من تسعين سنة ليؤدي دوراً واحداً في آخر أيام حياته، وهي بشارة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم بالرسالة، ثم مات بعد أيام.

(1) سورة المائدة، الآية (13).

المبحث الثالث: عداس النصراني

يروي علماء السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، ويرجو أن يقبلوا منه ما جاء به من عند الله عز وجل.

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ ساداته، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم من أجله، فردوا عليه رداً منكراً، وفاجؤوه بما لم يكن يتوقع من الغلظة وسمج القول، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وهو يرجوهم أن يكتموا خبر مقدمه إليهم من قريش، فلم يجيبوه إلى ذلك أيضاً، ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، وجعلوا يرمونه بالحجارة، حتى أن رجلي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتدميان، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه عدة شجاج[1]، حتى وصل رسول الله إلى بستان لعتبة بن ربيعة، فرجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فأوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنهكه التعب والجراح إلى ظل شجرة عنب فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه.

فلما اطمأن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الظل، رفع رأسه ودعاء بدعاء[2]...

ثم إن ابني ربيعة – صاحبي البستان – تحركت الشفقة في قلبيهما، فدعوا غلاماً نصرانياً لهما يقال له (عداس) فأرسلا إليه قطفاً من العنب في طبق، فلما وضع عداس العنب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال: كل.

---

(1) الطبقات الكبرى، ابن سعد (ج1، ص196).
(2) أنظر ص 83.

مد الرسول يده قائلاً: بسم الله، ثم أكل.

فقال عداس متعجباً: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال له الرسول: ومن أي البلاد أنت؟ وما دينك؟

قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى (قرية بالموصل).

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟

فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي، فأكبَّ عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه(1).

ما أن ظهرت الدلائل لهذا الغلام النصراني عداس أن الذي يكلمه نبي وهو ويونس بن متى أخوة في العقيدة، وأنهما نبيان كريمان ما أن ظهرت له الحقيقة جلية فأدركها بفؤاده وعقله حتى انكب على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجليه يقبلهما، وقد أجاد إمام الأدب العربي مصطفى صادق الرافعي في تصوير هذا المشهد في كتابه وحي القلم حيث قال بعد ذكر القصة: (يا عجباً لرموز القدر في القصة

لقد أسرع الخير والكرامة والإجلال، فأقبلت تعتذر عن الشر والسفاهة والطيش، وجاءت القبلات بعد كلمات العداوة.

وكان ابنا ربيعة من ألد أعداء الإسلام، وممن مشوا إلى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم مع أشراف قريش يسألونه أن يكفه عنهم، أو يخلي بينهم وبينه، أو ينازلوه وإياه حتى يهلك أحد الفريقين.فانقلبت الغريزة الوحشية إلى معناها الإنساني الذي جاء به هذا الدين، لأن المستقبل الديني للفكر لا للغريزة.

---

(1) سيرة ابن هشام (ج1، ص420).

وجاءت النصرانية تعانق الإسلام وتعزه، إذ الدين الصحيح من الدين الصحيح، كالأخ من أخيه، غير أن نسب الأخوة هو الدم، ونسب الدين هو العقل.

ثم أتم القدر رمزه في هذه القصة، بقطف العنب سائغاً عذباً مملوءاً حلاوة، فباسم الله كان قطف العنب رمزاً لهذا العنقود الإسلامي العظيم الذي امتلأ حبّاً، كل حبة مملكة[1].

(1) وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي (ج2، ص20).

المبحث الرابع: النجاشي ملك الحبشة

كان النجاشي ملك الحبشة ، على النصرانية الحقة عالماً بالإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، عالماً بحقيقة عيسى البشرية، وهي أنه عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكان ملكاً عادلاً ، لا يظلم عنده أحد.

يروي علماء السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب على أيدي سادة الشرك في مكة، وهو لا يقدر على أن يحميهم مما هم فيه قال لهم: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحدٌ، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً، مما أنتم فيه) [1].

فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام، وقد اجتمع في أرض الحبشة من الصحابة المهاجرين بضعة وثمانون رجلاً.

فلما علمت قريش بذلك، أرسلت إلى النجاشي رجلين هما عمرو بن العاص (ولم يكن قد أسلم بعد) وعبدالله بن أبي ربيعة، بهدايا مختلفة كثيرة، له ولحاشيته وبطارقته، من أجل أن يرفض قبول هؤلاء المسلمين في جواره ويسلمهم مرة أخرى إلى أعدائهم، فلما كلما النجاشي في ذلك رفض أن يسلم أحداً من المسلمين إليهما حتى يكلمهم في شأن دينهم الجديد هذا، فجيء بهم إليه، ورسولا قريش عنده، فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من الملل؟

---

(1) سيرة ابن هشام، ج1، ص321.

فكلمه جعفر بن أبي طالب فقال[1]:

أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش، فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان.

فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك[2].

فسأله النجاشي أن يتلو عليه شيئاً مما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله، فقرأ عليه جعفر من سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا

(1) مسند أحمد، (ج3، 273)، حديث رقم (1740) وانظر صحيح ابن خزيمة، حديث رقم (2260).
(2) مسند أحمد، (ج3، 273)، حديث رقم (1740).

جَنِيًّا (25)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[1].

فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، ثم قال لهم: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، ثم التفت إلى رسولي قريش قائلاً:

"انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون". ثم إنهما عادا فقالا للنجاشي:

أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون.

فأرسل إليهم في ذلك. فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم: هو عبدالله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فضرب النجاشي بيده الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود. ثم رد إليهما هداياهما، وزاد استمساكه بالمسلمين الذين استجاروا به، وعاد الرسل إلى قريش خائبين.

تأملات في الحوار الذي دار بين النجاشي ورسولي قريش والمسلمين:

لقد ظهرت حقيقة العلاقة القائمة بين ما جاء به سيدنا محمد وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام، فقد كان النجاشي على دين عيسى عليه الصلاة والسلام، وكان مخلصاً وصادقاً في نصرانيته.

ولقد كان من مقتضى إخلاصه هذا أن لا يتحول عنها إلى ما يخالفها، وأن لا ينتصر لمن تختلف عقيدتهم عما جاء به الإنجيل، وما جاء به سيدنا عيسى عليه السلام[2].

---

(1) سورة مريم، الآيات (16 – 34).

(2) فقه السيرة، د. محمد سعيد رمضان البوطي، (ص94).

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله: أي فلو صحت تقولات أولئك الذين يزعمون انتماءهم إلى عيسى بن مريم، وتمسكهم بالإنجيل، من أن عيسى ابن الله تعالى، وأنه ثالث ثلاثة، لتمسك النجاشي الذي كان من أخلص الناس لنصرانيته بذلك، ولردّ على المسلمين كلامهم وانتصر لرسل قريش، فيما جاؤوا من أجله.

ولكننا رأينا النجاشي يعلق على ما سمعه من القرآن وترجمته لحياة عيسى بن مريم بقوله: (إن هذا والذي جاء به عيسى بن مريم ليخرج من مشكاة واحدة).

يقول ذلك على مسمع بطارقة وعلماء الكتاب الذين من حوله.

وهذا يؤكد ما هو بديهي الثبوت من أن الأنبياء كلهم إنما جاؤوا بعقيدة واحدة، لم يختلفوا حولها بعضهم عن بعض قيد شعرة.

ويؤكد لنا أن اختلاف أهل الكتاب (يهود ونصارى) فيما بينهم ليس إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً من عند أنفسهم، كما قال الله تعالى[1].

---

(1) المرجع السابق.

المبحث الخامس: سلمان الفارسي

يحدثنا الإمام أحمد بن حنبل عن قصة إسلام هذا الصحابي الجليل فيقول[1]: عن عبدالله بن عباس، قال: حدثني سلمان الفارسي حديثه من فيه، قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها: (جي)، وكان أبي دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته، كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة، قال: فشغل في بنيان له يوماً، فقال لي: يا بني، إني قد شغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم، وسمعت أصواتهم، دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، قال: فلما رأيتهم أعجبني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟

قالوا: بالشام.

قال: ثم رجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، قال: فلما جئته، قال: أي بني، أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟

قال: قلت: يا أبتِ، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس،

---

(1) مسند أحمد، (ج39، ص140)، حديث رقم (23737) مسند سلمان الفارسي.

قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه،

قال: قلت: كلا والله إنه لخير من ديننا،

قال: فخافني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته، قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى،

قال: فأخبروني بهم،

قال: فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم،

قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام،

فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟

قالوا: الأسقف في الكنيسة،

قال: فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك،

قال: فادخل فدخلت معه،

قال: فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء، اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قِلال من ذهب وورق (فضة)، قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه،

فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئاً،

قالوا: وما علمك بذلك؟

قال: قلت أنا أدلكم على كنزه،

قالوا: فدلنا عليه،

قال: فأريتهم موضعه، قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً،

قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة، ثم جاءوا برجل آخر، فجعلوه مكانه،

قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس، أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه،

قال: فأحببته حباً لم أحبه من قبله، فأقمت معه زماناً، ثم حضرته الوفاة،

فقلت له: يا فلان إني كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه من قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟

قال: أي بني والله ما أعلم أحدا اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلا بالموصل، وهو فلان، فهو على ما كنت عليه، فالحق به،

قال: فلما مات وغيب، لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه،

فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا بنصيبين، وهو فلان، فالحق به، قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين، فجئته فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحبي،

قال: فأقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر، قلت له: يا فلان، إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟

قال: أي بني، والله ما نعلم أحداً بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، قال: فإنه على أمرنا،

قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية، وأخبرته خبري.

فقال: أقم عندي، فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم.

قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة،

قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان. فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟

قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب، مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل،

قال: ثم مات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجاراً،

فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟

قالوا: نعم فأعطيتهموها وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من يهود عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل، ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده، قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي،

فأقمت بها وبعث الله رسوله، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال: فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجلٍ قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي،

قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء، حتى ظننت سأسقط على سيدي،

قال: ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة،

ثم قال: ما لك ولهذا، أقبل على عملك،

قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته.

فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجلٌ صالحٌ، ومعك أصحاب

لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم قال: فقربته إليه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (كلوا) وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة.

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ثم جئته به.

فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها،

قال: فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه.

قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان،

قال: ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد، قال: وقد تبع جنازة من أصحابه، عليه شملتان له، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته، عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (تحول)

فتحولت، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس،

قال: فأعجب رسول الله(صلى الله عليه وسلم) أن يسمع ذلك أصحابه[1].

---

(1) مسند أحمد، (ج39، ص140)، حديث رقم (23737).

المبحث السادس: هرقل عظيم الروم

كان هرقل ملكاً على الروم وليس هذا فحسب، بل كان أُسقفاً كذلك، فجمع بذلك بين الملك والعلم في دين النصرانية، فهو قارئ للإنجيل، متمعناً في دلالاته وبشاراته، وخاصة بشارة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، بنبي الأميين، محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وصفات هذا النبي ومبعثه ومخرجه ومهاجره عرف هذه الصفات معرفة دقيقة واضحة جلية كما يعرف أبناءه بل أكثر.

استمع إلى حديث حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يحدث بحديث أبي سفيان بن حرب، وكان أبو سفيان ما زال مشركاً، فيما يرويه الإمام البخاري في صحيحه وكان هذا الحديث في السنة السابعة بعد صلح الحديبية بين المسلمين ومشركي مكة، حيث قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بإرسال رسائل إلى زعماء الأرض وملوكها يدعوهم فيها إلى الإسلام، فبعث برسالة إلى هرقل عظيم الروم يدعوه فيها إلى الإسلام.

روى الإمام البخاري[1] عن ابن عباس قال: أخبرنا أبو سفيان بن حرب أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش – وكانوا تجارا بالشأم – فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم فى مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه.

فقال هرقل: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي؟

فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (7).

قال هرقل: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم: إنى سائلٌ هذا (أي أبا سفيان) عن هذا الرجل (أي محمد صلى الله عليه وسلم)، فإن كذبنى فكذبوه.

قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذباً لكذبت عليه،

ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسب.

قال هرقل: فهل قال هذا القولَ منكم أحدٌ قط قبله؟

قلت: لا.

قال هرقل: فهل كان من آبائه من ملك؟

قلت: لا.

قال هرقل: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟

فقلت: بل ضعفاؤهم.

قال هرقل: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: بل يزيدون.

قال هرقل: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قلت: لا.

قال هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال هرقل: فهل يغدر؟

قلت: لا، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعلٌ فيها، قال: ولم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة.

قال هرقل: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال هرقل: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.

قال هرقل: ماذا يأمركم؟

قلت: يقول اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال هرقل للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه؟

فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث فى نسب قومها،

وسألتك هل قال أحدٌ منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله لقلت: رجلٌ يأتسى بقولٍ قِيل قبله،

وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟

فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك، قلتُ: رجلٌ يطلب ملك أبيه،

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله،

وسألتك: أشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل،

وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟

فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم،

وسألتك أيرتدُّ أحدٌ (من أتباعه) سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب،

وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر،

وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف.

فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلصُ إليه لتجشمّت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات وأخرجنا[1].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (7).

قال البخاري رحمه الله: وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسقفا على نصارى الشأم، يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك.

قال ابن الناطور: وكان هرقل (حزاء) ينظر في النجوم.

فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟

قالوا: ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مداين مُلكك فيقتلوا من فيهم من اليهود.

فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجلٍ أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما استخبره هرقل،

قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟

فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب.

فقال: هم يختتنون.

فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العِلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرةٍ له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟

فحاصوا حيصة حُمُر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان، قال: ردوهم عليَّ،

وقال: إني قلتُ مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه،

فكان ذلك آخر شأن هرقل[1].

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله:

ثم إن في قصة الكتب التى أرسلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك والرؤساء دلالات وأحكاماً كثيرة نجملها فيما يلي:

أولاً: أن الدعوة التى بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إنما بعث بها إلى الناس كافة، لا إلى قوم بأعينهم، وأن رسالته إنما هى إنسانية شاملة، ليس لها طابع عنصرية أو قومية أو جماعية معينة، ولذلك اتجه صلى الله عليه وسلم بدعوته يبلغها إلى كل حكام الأرض وملوكها.

روي عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم الى الله تعالى[2].

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد تحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية لمرحلة جديدة ألا وهي قتال أولئك الذين بلغتهم الدعوة فوعوها وفهموها، ولكنهم استكبروا عن الإيمان بها والإذعان لها حقداً وعدواناً.

يقول الدكتور البوطي رحمه الله: وهذه المرحلة هي التي يحاول محترفو الغزو الفكري أن يطمسوا عليها ويغيبوها على أعين المسلمين.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (7).

(2) فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، ص254.

لقد نضجت عقلية الرجل الأوروبي لمعانقة الإسلام بمجرد أن يسمع دعوة خالصة إليه، فكيف بالدعوة الخالصة تتلوها تضحية وجهاداً[1].

ثانياً: يدلك موقف هرقل مع أتباعه الذين كانوا يزعمون أنهم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام على مدى التكبر على الحق والتعنت فى الباطل عند كثير من أهل الكتاب، وهم الذين تحول الدين فى تصورهم إلى تقاليد وعصبية، فلا ينظرون إليه من حيث إنه حق أو باطل بمقدار ما يتمسكون به من حيث إنه جزء من تقاليدهم، ومظهر لعصبيتهم وشخصيتهم، وليكن بعد ذلك إذا شاء حقاً أو باطلاً.

ولقد بدى موقف هرقل بادىء الأمر فى مظهر المتدبر المقدر لحقائق الأمور، ولكن يبدو أنه كان يسوس بذلك رعيته وحاشيته ويجس نبضهم، ليطمئن إلى ما ينبغي أن يفعله حفظاً على ملكه وسلطانه حيال هذا الأمر[2].

---

(1) المرجع السابق، ص253، بتصرف.

(2) المرجع نفسه، ص255.

المبحث السابع: عدي بن حاتم الذي كان نصرانياً وملكاً من ملوك العرب

في السنة التاسعة للهجرة دان للإسلام ملك من ملوك العرب، بعد نفور شديد، ولان للإيمان بعد إعراض وصد..

أعطى الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد طول إباء، إنه عدي بن حاتم كان ملكاً من ملوك الجزيرة العربية.

لماذا عادى عدي بن حاتم الطائي النبي صلى الله عليه وسلم، قبل إسلامه؟

ورث عدي الرئاسة عن أبيه، فكان ملكاً في الجزيرة، وكان يرأس قبيلة طيئ، وفرضت له الربع في غنائمها، وأسلمت له القيادة في أمرها، ولما صدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة الهدى والحق، ودانت له الجزيرة العربية حياً بعد حيٍّ، رأى عدي في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم دعامة واسعة النفوذ، توشك أن تقضي على زعامته، وستفضي إلى إزالة رئاسته، فعادى النبي صلى الله عليه وسلم، ولماذا عاداه؟

حفاظاً على مصالحه ظلَّ عدي بن حاتم على عداوته قريباً من عشرين عاماً.

يقول عدي بن حاتم: مــا من رجل من العرب كان أشدُّ منِّي كراهةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمعتُ بهْ، فقد كنت امرءاً شريفاً، وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمرباع، فأخذت الربع من غنائمهم، كما يفعل غيري من ملوك العرب، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته، ولما عظُم أمره وامتدت شوكته، وجعلت جيوشه وسراياه

تُشرّق وتغرّب في أرض العرب، قلت لغلام لي يرعى إبلي: لا أبا لك، اعدد لي من إبلي نوقاً سماناً سهلة القياد، واربطها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد أو بسرية من سراياه قد وطئت هذه البلاد فأعلمني –لقد هيأ الطائرة للهروب... ولكل عصر أساليبه.

وفي ذات غداة أقبل عليَّ الغّلام وقال: يا مولاي، ما كنت تنوي أن تصنعه إذا وطئت أرضك خيل محمد فاصنعه الآن،

فقلت: ولم ثكلتك أمك؟

فقال: إني قد رأيت رايات خلال الديار، فسألت عنها، فقيل لي: هذه جيوش محمد قد قدمت.

فقلت له: اعدد لي النوق التي أمرتك بها، فقرّبها مني.

ثم نهضت من ساعتي، فدعوت أهلي وأولادي إلى الرحيل عن الأرض التي أُحبها، وسرتُ نحو بلاد الشام لألحق بأهل ديني من النصارى، وأنزل بينهم، (ولكنه وقع في غلطة كبيرة ارتكبها فكانت سبب إسلامه).

قال عدي: فقد أعجلني الأمر في استقصاء أهلي كلهم، فلما اجتزت مواضع الخطر، تفقدت أهلي، فإذا بي قد تركت أختاً لي في موطناً بنجد، مع من بقي هناك من طيئ، ولم يكن لي من سبيل إلى الرجوع إليهم...

فمضيت بمن معي حتى بلغت الشام، وأقمت فيها بين أبناء ديني.

وأما أختي فقد نزل بها ما كنت أتوقعه وأخشاه.

قال عدي:

ولقد بلغني وأنا في ديار الشام أن خيل محمد صلى الله عليه وسلم أغارت على ديارنا، وأخذت أختي من جملة من أخذته من السبايا، وسيقت إلى يثرب، وهناك وضعت مع السبايا في حظيرة عند باب المسجد.

فمر بها النبي صلى الله عليه وسلم فوقفت، وكانت ذكية جداً، وقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنُنْ علي منَّ الله عليك.

فقال عليه الصلاة والسلام: ومن وافدك؟ -الوالد معروف إنه حاتم الطائي-

فقالت: عدي بن حاتم.

فقال عليه الصلاة والسلام: الفار من الله ورسوله؟!

ثم مضى وتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم بشيء.

فلما كان الغد مرَّ بها.

فقالت له مثل قولها بالأمس: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد، فامنن عليَّ منَّ الله عليك.

قال عليه الصلاة والسلام: من الوافد؟

قالت: عدي بن حاتم.

قال: الفار من الله ورسوله، ثم تركها ومضى.

فلما كان بعد الغد مرّ بها، فقد يئست فلم تقل شيئاً، وكان وراء النبي رجلاً أشار إليها من خلفه أن قومي وكلميه كما كلمتيه بالأمس.

فقامت إليه وقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد فامنن عليَّ منَّ الله عليك.

وفي رواية أخرى أوسع قالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب (لأنها شريفة) فإن أبي كان سيد قومه، يفك العاني، ويعفو عن الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ويحمل الكلّ، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحدٌ في حاجة فرده خائباً، أنا بنت حاتم الطائي.

فقال عليه الصلاة والسلام حين سمع مقالتها:

يا جارية هذه صفات المؤمنين حقاً، ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا سبيلها، فإن أباها يحب مكارم الأخلاق،

ثم قال لها: يا جارية إلى أين تريدين أن تذهبي؟

قالت: أريد اللحاق بأهلي في الشام.

فقال عليه الصلاة والسلام: ولكن لا تعجلي بالخروج حتى تجدي من تثقين به من قومك ليبلغك بلاد الشام، فإذا وجدت الثقة فأعلميني.

قالت: لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم: سألت عن الرجل الذي أشار إليها أن تكلمه فقيل لها إنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثم أقامت حتى قدم ركبٌ فيهم من تثق به، فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله، لقد قدم رهطٌ من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ.

فكساها النبي صلى الله عليه وسلم ومنحها ناقة تحملها، وأعطاها نفقة تكفيها، وأطلق سراح قومها كلهم إكراماً لها. ولم يسمح لها بالخروج إلا مع من تثق به، كي يبلغها أهلها بسلام، فخرجت مع الركب.

قال عدي: ثم جعلنا بعد ذلك نتنسم أخبارها، ونترقب قدومها، فوالله إني لقاعد في أهلي إذ أبصرت امرأة في هودجها تتجه نحونا،

فقلت: ابنة حاتم، فإذا هي هي، فلما وقفت علينا بادرتني بقولها: القاطع الظالم، لقد احتملت أهلك وولدك وتركت بقية والدك وعورتك.

فقلت: أي أخية، لا تقولي إلا خيراً... وجعلت أسترضيها حتى رضيت.

وقصت عليَّ خبرها، فإذا هو كما تناهى إليَّ،

فقلت لها: ما ترين في هذا الرجل؟ (يعني محمداً صلى الله عليه وسلم).

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن نبياً فللسابق فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل عنده وأنت أنت.

قال عدي: فهيأت جهازي، ومضيت حتى قدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير كتاب ولا أمان، فدخلت عليه وفي عنقي صليب من فضة وهو في المسجد، يتلو قول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]

فقال عدي: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم[2].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من الرجل؟

قلت: عدي بن حاتم،

---

(1) سورة التوبة، الآية (31).

(2) تفسير ابن كثير، ج2، ص544.

فقام إليَّ وأخذ بيدي، وانطلق بي إلى بيته.

فوالله إنه لماضٍ إلى البيت إذ لقيته امرأةٌ ضعيفة كبيرة، ومعها صبي صغير، فاستوقفته، فجعلت تكلمه في حاجة لها، فظل معها حتى قضى حاجتها، وأنا واقفٌ، فقلتُ في نفسي: والله ما هذا بملك!

ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ألفينا منزله، فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فألقاها إليّ فقال: اجلس على هذه، فاستحييت منه.

وقلت: بل أنت فاجلس عليها.

فقال: بل أنت، فجلستُ عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض، إذ لم يكن في بيته سواها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك!

ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم، هل تعلم من إله سوى الله؟

قلت: لا.

ثم قال: هل تعلم شيئاً أكبر من الله؟

قلت: لا.

قال: ألم تكن ركوسياً؟ (قوم لهم دين بين النصارى والصابئة).

قلت: بلى.

قال: أولم تكن تسير في قومك بالمرباع؟

قلت: بلى.

قال: فإن ذلك لم يكن يحل في دينك.

قلت: أجل والله، وعرفت عندئذ أنه نبي مرسل، يعلم ما نجهل.

ثم قال لي: لعلك يا عدي، إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما تراه من حاجة المسلمين وفقرهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم، حتى لا يوجد من يأخذه،

ولعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما تراه من قلة المسلمين وكثرة عدوهم،

فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف أحداً إلا الله.

ولعله يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم،

وأيم الله لتوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، وأن كنوز كسرى قد صارت إليهم،

قال: فأسلمت.

قال عدي: فرأيت اثنتين: الظعينة، وكنت في أول خيل أغارت على كنوز كسرى، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة[1].

(1) انظر: سيرة ابن إسحاق، ج1، ص 288، ومسند أحمد بن حنبل، ج30، ص196، حديث رقم (18260) وانظر الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ج4، ص389.

المبحث الثامن: المقوقس ملك الإسكندرية

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى المقوقس ملك الإسكندرية، وأرسله مع الصحابي حاطب بن أبي بلتعة، رضي الله عنه، وجاء في هذا الكتاب[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبدالله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فان توليت فان عليك إثم القبط، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

وختم الكتاب فخرج به حاطب حتى قدم عليه الإسكندرية، فانتهى إلى حاجبه، فلم يُلبثه أن أوصل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال حاطب للمقوقس لما لقيه:

إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، واعتبر بغيرك ولا يعتبر بك.

قال المقوقس: هات.

قال حاطب: إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي به الله فقد ما سواه إن هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له يهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى بن مريم إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الانجيل، وكل نبي أدرك

(1) عيون الأثر، ابن سيد الناس، ج2، ص 332.

(2) سورة آل عمران: الآية 64.

قوماً فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به.

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهودٍ فيه، ولا ينهى إلا عن مرغوبٍ عنه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبئ، والإخبار بالنجوى، وسأنظر.

وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في (حُقٍّ)[1] من عاجٍ، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط، سلامٌ، أما بعد:

فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمتُ رسولَك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت لك بغلةً لتركبها.

والسلام عليك[2].

ولم يزد على هذا، ولم يُسلم.

أما الجاريتان فهما مارية وسيرين، وأما البغلة فهي دُلدُل، وكانت شهباء.

وذكر الواقدي في السيرة أن المقوقس وصف لحاطب أشياء من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وقال: القبط لا يطاوعوني في اتباعه، ولا أحب

---

(1) الحق: (بضم الحاء) وعاء صغير ذو غطاء، يتخذ من عاج، أو زجاج، أو غيرهما، انظر القاموس المحيط، ج1، 875، فصل الحاء.

(2) عيون الأثر، ابن سيد الناس، (ج2، 333).

أن تعلم (أي القبط) بمحاورتي إياك، وسيظهر على البلاد، وينزل بساحتنا هذه أصحابُه من بعده، حتى تظهر على من هاهنا.

فارجع إلى صاحبك، فقد أمرت له بهدايا وجاريتين أُختين وبغلةٍ من مراكبي، وألف مثقال من الذهب، وعشرين ثوباً، وغير ذلك، وأمرت لك بمائة دينار وخمسة أثواب، فارحل من عندي ولا تُسمِع منك القبط حرفاً واحداً.

قال حاطب: فرحلتُ من عنده، وكان لي مُكرماً في الضيافة، وقلة اللبث ببابه، ما أقمت عنده إلا خمسة أيام. وإن وفود العجم ببابه منذ شهر وأكثر[1].

إسلام مارية القبطية:

أيقن المقوقس عظيم القبط أن الصفات الموجودة في الإنجيل والتي تبشر بآخر نبي إلى أهل الأرض تنطبق تمام الانطباع على محمد صلى الله عليه وسلم وأنه النبي المنتظر الذي يبشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

فكان من أمره أن أكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث بهدايا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولكنه لم يسلم خوفاً على ملكه، ولأن الأمة القبطية لن تتابعه على الإيمان به.

فكان من ضمن ما بعثه هدايا إلى النبي(صلى الله عليه وسلم) جاريتان، وهما مارية وأختها سيرين، فما كان من إسلامهما.

أورد علماء السيرة أن المقوقس لما أتاه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ضمه إلى صدره وقال: هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نجد نعته وصفته في كتاب الله، وإنا لنجد صفته أنه:

- لا يجمع بين الأختين في ملك يمين ولا نكاح،
- وأنه يقبل الهدية،
- ولا يقبل الصدقة، وأن جلساءه المساكين،

(1) المرجع نفسه، ص333.

- وأن خاتم النبوة بين كتفيه.

ثم دعا رجلاً عاقلاً ثم لم يدع في مصر أحسن ولا أجمل من مارية وأختها فبعثه بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له بغلة شهباء وحماراً أشهب، وثياباً من قباطي مصر، وعسلاً من عسل (بنها) وبعث إليه بمال صدقة.

وأمر رسوله أن ينظر مَن جلساؤه، وينظر إلى ظهره هل يرى شامة كبيرة، ففعل ذلك الرسول، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قدم إليه الأختين والدابتين والعسل والثياب، وأعلمه أن كل ذلك هدية، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية وكان لا يردها من أحد من الناس.

قال: فلما نظر إلى مارية وأختها أعجبتاه، وكره أن يجمعع بينهما، وكانت أحدهما تشبه الأخرى.

فقال: اللهم اختر لنبيك، فاختار الله له مارية، وذلك أنه قال لهما: قولا: نشهد أن لا إله الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

فبادرت مارية فوراً فتشهدت وآمنت قبل أختها، ومكثت أختها ساعة، ثم تشهدت وآمنت.

فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها لمحمد بن مسلمة الأنصاري، وقال بعضهم: بل وهبها لدحية بن خليفة الكلبي(1).

(1) المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض، من عربي وعجمي، محمد بن علي الأنصاري (ج2، ص114).

الفصل الثالث:

لهذه الأسباب... أوروبا تعتنق الإسلام

أولاً: الإسلام دين الفطرة.

ثانياً: محمد صلى الله عليه وسلم بشارة عيسى عليه السلام.

ثالثاً: عظيم أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: الإعجاز العلمي في القرآن يشهد بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

خامساً: رحمة الإسلام بالإنسان، والحيوان، والطير، وحمايته للبيئة.

سادساً: عدل الإسلام المطلق.

سابعاً: الإسلام سفينة النجاة.

مقدمة:

إن الناظر إلى أصول المجتمع الأوروبي نظرة متمعنة، يجد أن هذه المجتمعات تعيش حياة مترفة؛ لأن الدول الأوروبية متقدمة صناعاً وتكنولوجيا، وأما من الناحية القيمية فإن الناس فيها يعيشون في فراغ روحي مطلق، بعد أن نبذت أوروبا الدين، كأحد نتائج الثورة الصناعة كما تقدم في الفصل الأول من هذا الكتاب، ولما كان الإنسانُ مخلوقا من جسد وروح كما أخبر الله تعالى في القرآن العظيم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1].

فإن الاهتمام بجانب البدن وعدم الاهتمام بالجانب الروحي للإنسان يوصله إلى عدم التوازن في مسيرته في هذه الحياة، والمعاناة من الفراغ الروحي يؤدي به إلى مصير مجهول.

ألا ترى إلى الطائر يحلق في السماء بجناحين، وكذلك الإنسان له جانبان؛ جانب البدن، والذي يحتاج إلى الطعام والشراب والنكاح الحلال... إلخ. فهذا غذاء البدن، وأما الروح فغذاؤها العبادة كالصلاة والصيام والذكر والحج والزكاة وغيرها .

فإن غذّا الإنسان البدن وترك الروح شقي، وربما وصل إلى الجنون أو الانتحار ، ولا يخفى أن المجتمعات الأوروبية تدور في هذه الدائرة... دائرة البدن التي استغرقت كل وقت الإنسان الأوروبي وهمه وماله

(1) سورة الحجر، الآيتان (28 – 29).

فكانت النتيجة الحتمية، أن تعيش المجتمعات الأوروبية في تيهٍ وضياع مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾[1]

فإن أرادت الشعوب الأوروبية النجاح في الدنيا والآخرة، والاتزان والاستقامة، وأن تحصل على سر السعادة فلا بد لها أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وبهذا تدخل في الإسلام لتنال رضوان الله عز وجل، والفوز بجنته.

والدافع لهم لقبول الإسلام هو الأسباب التالية:

السبب الأول: الإسلام دين الفطرة:

أي أن الله تعالى فطر الناس أي خلقهم على التوحيد، ومعرفة الخالق سبحانه، وهو دين الأنبياء جميعاً، فالإنسان يولد على الفطرة، أي على الإسلام والتوحيد والإيمان بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) [3].

(1) سورة طه، الآيتان (124 – 126).

(2) سورة الروم، الآية (30).

(3) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، حديث رقم (1358).

ومعنى يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه: يجعلانه يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، حسب ملتهما بترغيبهما له في ذلك، أو بتبعيته لهما، فأنكر تعالى عن فعل ذلك، فقال الله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1]

يقول العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية:

يقول تعالى منكراً على من أراد ديناً سوى دين الإسلام، والذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، وهو عبادته وحده لا شريك له، الذي [له أسلم من في السموات والأرض] أي: استسلم له من فيهما طوعاً وكرهاً.

فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرهاً، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم، الذي لا يخالف ولا يمانع[2].

لقد خلق الله عباده على الحنيفية السمحة، وهي الإسلام، وهذه الحنيفية هي أحب الدين إلى الله عز وجل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أحب الدين إلى الله الحنيفية[3] السمحة) [4].

والله تعالى لم يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم باليهودية ولا بالنصرانية، ولكنه بعثه بالحنيفية السمحة، والتي هي دين كل الأنبياء، بمن

(1) سورة آل عمران، الآية (83).

(2) تفسير ابن كثير، (ج2، ص69).

(3) الحنيفية السمحة: الأعمال المائلة عن الباطل، والتي لا حرج فيها، ولا تضييق، وهي الإسلام.

(4) الحديث رواه الإمام البخاري تعليقاً في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر.

فيهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بُعثت بالحنيفية السمحة) [1].

هذه هي الطبيعة البشرية والفطرة الجبلية التي خلق الله تعالى عباده عليها، إنها من الفطرة، وهي ذاتها الحنيفية السمحة التي بُعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنفس البشرية تحب أن تتعرف على خالقها بفطرتها، تحب أن تتعرف على الله الواحد الأحد العليم القدير، الذي يتصف بكل صفات الكمال والجلال المنزه عن الزوجة والولد الذي لا معبود بحق إلا هو، هو الله الأحد الصمد كما أخبر عن نفسه، وكما أخبره عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما أُمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعلمه للناس، فكان يقول في خطبته، فيما يرويه الإمام مسلم في صحيحه[2]، قال:

(ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا،

كل مال نحلته عبداً حلال،

وإني خلقت عبادي حُنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمَرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً،

وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب،

(1) مسند أحمد، (ج36، ص624).

(2) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنياأهل الجنة وأهل النار، حديث رقم (2865).

وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان،

وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً،

فقلت: رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزةً،

قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نُغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسةً مثله،

وقاتل بمن أطاعك من عصاك.

قال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق،

ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال – قال – وأهل النار خمسة... الحديث[1].

لا يمكن للنفوس التي انحرفت عن فطرة الإسلام– لأن الشياطين اجتالتهم عن هذه الفطرة الربانية لا يمكن لها أن تتعرف على خالقها بتصور صحيح يروى الفطرة النفسية، الكامنة في أعماق النفس والروح، فيكون الشقاء حتماً لهؤلاء،

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[2].

---

(1) صحيح مسلم، حديث رقم (2865.

(2) سورة مريم (88-95)

قفوا أيها الناس وأنتم أيها الأوروبيون خاصة مع هذه الآية الكريمة التي تخاطب فطرتكم التي فطركم الله عليها، واستمعوا لها بقلوبكم لا بآذانكم فحسب.

استمعوا إلى قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(1).

يقول الأستاذ سيد قطب في تفسير هذه الآية:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ اتجه إليه مستقيماً، فهذا الدين هو العاصم من الأهواء المتفرقة التي لا تستند على حق، ولا تستمد من علم، إنما تتبع الشهوات، والنزوات بغير ضابط ولا دليل.

أقم وجهك للدين حنيفاً مائلاً عن كل ما عداه، مستقيماً على نهيه، دون سواه ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾.

وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين وكلاهما من صنع الله، وكلاهما موافق لناموس الوجود، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه.

والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويشفيه من المرض، ويقومه من الانحراف.

وهو أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير.

والفطرة ثابتة، والدين ثابت، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾،

---

(1) سورة الروم، الآية (30).

فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة، فطرة البشر، وفطرة النفوس[1].

نخلص إلى القول: إن الدخول في الإسلام ينسجم مع الفطرة البشرية لكل أبناء آدم، وينسجم مع هذا الوجود الذي أعلن استسلامه وانقياده وطاعته لله عز وجل، فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليه إلا هذا الدين، فأين أنتم أيها الأوروبيون منه؟!

وينبني على كون الإسلام أنه دين الفطرة ما يلي:

أ) في مجال العقيدة:

السهولة واليسر في العقيدة، فهي قائمة على توحيد الله جل جلاله، وأن لهذا الكون إله واحد فقط.

قال تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[4]

فالله تعالى واحد، رب السماوات ورب الأرض، ورب كل شيء ومليكه، ليس له زوجة، وليس له ولد، وليس له نظير، أو مثيل أو شبيه.

والله جل جلاله يتصف بكل صفات الكمال والجلال فهو قدير عليم، مريد، معز، مذل، محيي، مميت، خالق، عزيز كريم... إلخ.

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (ج5/2767).
(2) سورة البقرة، الآية (163).
(3) سورة النساء، الآية (171).
(4) سورة الإخلاص، الآية (1).

والله جل جلاله منزهٌ عن كل صفات النقص كالحاجة إلى الزوجة، أو الولد، أو الضعف، أو الحاجة إلى الطعام، أو نقص العلم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والله تعالى يجمع الناس يوم القيامة ليحاسبهم على أعمالهم، فيدخل المؤمنون الذين شهدوا له بالوحدانية في الدنيا، وآمنوا برسله، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، وعملوا الصالحات، واجتنبوا الكبائر والمعاصي، يدخلهم الجنة.

وأما أولئك الذين كفروا بالله ولم يقروا له بالألوهية، ولم يؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أو دعوا له ولداً، أو زوجة، أو أنه ثالث ثلاثة، أو نسبوا له الضعف والعجز، أو اتبعوا ديناً غير الإسلام، وعملوا السيئات، وعاثوا في الأرض الفساد، فإنه يدخلهم النار خالدين فيها أبداً.

العقيدة الإسلامية تقيم علاقة مباشرة بين العبد وربه، فإذا أذنب العبد فله أن يستغفر الله مباشرة وبدون واسطة والله تعالى يغفر له ذنبه، فلا واسطة في الإسلام بين العبد وربه، ولا يحتاج إلى عالمٍ أو شيخٍ أو مفتي يعترف له بذنبه، ويقوم هذا الشيخ بطلب المغفرة له، كما هو الحال عند أهل الكتاب، فالعلماء في الإسلام هم واسطة بين الناس وبين المعرفة الصحيحة لأحكام الشرع، وليسوا واسطة بين العباد وبين خالقهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1].

(1) سورة غافر، الآية (60).

ب) في مجال الشريعة:

في مجال العبادات فهي سهلة ميسرة، فالصلاة مثلاً تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، ويستطيع المسلم أن يؤديها في أي مكان طاهر، وليس في المسجد فقط، فلنا نحن المسلمين أن نؤدي الصلاة في البيت، وفي السوق، وعلى جانب الطريق، وفي الصحراء، أو على جبل ، أو أي مكان بشرط طهارة المكان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي،

وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثتُ إلى كل أحمر وأسود،

وأحلت لي الغنائم، ولم تحل قبلي،

وجعلت لي الأرض الطيبة طهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان،

ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر،

وأعطيت الشفاعة) [(1)].

وإذا فقد الإنسان الماء للوضوء له أن يتيمم بالتراب الطاهر.

وأما الزكاة فهي فريضة على الأغنياء حيث يدفعوا من أموالهم 2,5% عن الأموال الزائدة عن حاجتهم بعد مرور عام كامل، وتُصرف إلى الفقراء، والمساكين وأصناف أخرى محددة بالشرع.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، حديث رقم (521).

وأما الصيام فهو شهر واحد فقط في العام، وهو شهر رمضان، حيث يكون الصيام عن الطعام والشراب والجماع وسائر المفطرات من طلوع الفجر الصادق حتى مغيب الشمس، مع نية العبادة لله، وإن كان المسلم مريضاً أو على سفر فله أن يفطر ويقضي في أيام أخر.

وأما الحج فهو فريضة مرة واحدة في العمر، وهو مفروض على من استطاع إليه سبيلاً، والاستطاعة تشمل استطاعة بدنية، واستطاعة مالية، فمن لم يكن لديه مال يمكنه من أداء الحج فلا حج عليه.

قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)

وقال تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[1].

السبب الثاني: محمد صلى الله عليه وسلم بشارة عيسى عليه السلام:

هذه هي الحقيقة التي نطق بها الحق جل جلاله في التوراة، وفي الإنجيل، وفي القرآن العظيم، ولن أسرد هنا النصوص الواردة في التوراة والإنجيل التي تبشر برسول الأميين صلى الله عليه وسلم، والتي ذكرتها كتب العقيدة الإسلامية باستفاضة، وخاصة أن بين أيدينا أحدث وحي سماوي من عند الله عز وجل غضاً طرياً، كأنه نزل الآن معصوم عن التحريف والتبديل، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2].

لقد بشر عيسى عليه السلام بمحمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد سطر الله تعالى ذلك في القرآن آيات تتلى إلى يوم القيامة، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ

(1) سورة البقرة، الآية (185).
(2) سورة الحجر، الآية (9).

يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: يعني التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي، وهو الرسول النبي الأمي المكي أحمد.

فعيسى عليه السلام، وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأٍ بني إسرائيل مبشراً بمحمد، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة.

وما أحسن ما أورد البخاري، الحديث الذي قال فيه: عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب)[2].

وعند مسلم وأبو داود الطيالسي عن أبي موسى قال: سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء، منها ما حفظنا فقال: أنا محمد، وأنا أحمد، والحاشر، والمقفي، ونبي الرحمة، والتوبة، والملحمة) [3].[4]

وقال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾[5]

---

(1) سورة الصف، الآية (6).

(2) صحيح البخاري، رقم الحديث (4896).

(3) صحيح مسلم، رقم الحديث (2355) ومسند الطيالسي، رقم الحديث (492).

(4) تفسير ابن كثير، (ج4، ص561) تفسير سورة الصف.

(5)سورة الأعراف، الآية (157).

وهذا والله في غاية الوضوح أنها صفة النبي الأمي المكتوبة في التوراة والإنجيل، فهل بعد هذا البيان بيان؟! وهل بعد هذا الخبر القاطع نكران؟! إلا من جاحدٍ أو معاندٍ للحق أو مكابر.

وقال الحق جل جلاله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

قال حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما: (ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد: لئن بعث محمداً وهو حي ليتبعنه، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه).

قلت: هذا الإصر (أي العهد) الذي أخذه الله على كل النبيين الذين بعثهم وأمرهم أن يتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم إن هم أدركوه ويأمروا أقوامهم باتباعه إن هم أدركوه، يشمل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، ومن آمن بعيسى بن مريم.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله أصحابه أن يخبر عن نفسه قال: (دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام) [2].

وفي مسند أحمد عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمجندل في طينته، وسأنبئكم

(1) سورة آل عمران، الآية (81).

(2) المستدرك على الصحيحين أبو عبدالله الحاكم (ج2، ص600).

بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين) [1].

السبب الثالث: عظيم أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم:

لقد كان لخلق النبي صلى الله عليه وسلم أثراً كبيراً في إسلام كثير من الناس حتى مع أولئك الذين ناصبوه العداء، وكرهوه، وحاولوا قتله.

وذلك لأن الله تعالى علّمه فأحسن تعليمه، وأدبه فأحسن تأديبه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

لقد استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يأسر قلوب أصحابه وأعدائه على حدٍ سواء بعظيم خلقه، حتى أحبه أصحابه محبةً عظيمةً، زادت على محبتهم لأنفسهم وأولادهم وأموالهم، وفدوه بالنفس والنفيس.

وأما أولئك الذين عادوه وكرهوه، وأرادوا قتله فلم يسعهم أمام عظيم خلقه وكريم إحسانه إليهم، لم يسعهم إلا أن يؤمنوا به، وبرسالته.

وسوف نتحدث عن صورٍ من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وصورٍ من أخلاقه مع أعدائه.

أولاً: أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه:

أ) روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجلٌ من القوم،

فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم،

(1) مسند الإمام أحمد، (ج4/ ص 127).
(2) سورة القلم، الآية (4).

فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إليَّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني،

قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإنَّ منا رجالاً يأتون الكهان،

قال: «فلا تأتهم».

قال: ومنا رجال يتطيرون،

قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم».

قال: قلت: ومنا رجال يخطون،

قال: «كان نبيٌّ من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك».

قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لى قِبل أُحد والجوانيةَ، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاةٍ من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكةً، فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليَّ،

قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟

قال: «ائتني بها». فأتيته بها.

فقال لها: «أين الله؟».

قالت: في السماء.

قال: «من أنا؟».

قالت: أنت رسول الله.

قال: « أعتقها، فإنها مؤمنة»[1].

ب) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد،

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزرموه، دعوه) فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة وقراءة القرآن، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه[2].

ثانياً : أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع أعدائه:

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم لعاناً ولا طعاناً، ولا بالفاحش البذيء، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتقم لنفسه، بل كان يعفوا ويصفح، وهذا أنس بن مالك خادم الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (خدمت رسول

(1) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، حديث رقم (537).

(2) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول، حديث رقم (285).

الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال لي: أف قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟[1]

وسُئلت عائشة عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: (كان خُلقه القرآن)[2]، يصبر عند الغضب، ويعفو عند الإساءة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خُلقاً[3].

وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخُلق وحسن الخِلقة وطيب الريح، قال أنس بن مالك: (كنا نعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل بطيب ريحه) [4].

أ- قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهودي:

وهذه القصة تبين عظيم خُلق النبي صلى الله عليه وسلم حتى مع أعدائه، وسوف أذكرها بطولها، وهي موجودة بتفاصيلها في صحيح ابن حبان، وغيره،

روى الإمام ابن حبان في صحيحه[5]، عن عبدالله بن سلام، قال: إن الله تبارك وتعالى لما أراد هدى (زيد بن سعنة) قال زيد: إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه؛ يسبق حلمه جهله، ولا يزيده

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقاً، حديث رقم (2309).

(2) مسند أحمد (ج42/ 183).

(3) شرح السنة، للبغوي، (ج13 / 234) حديث رقم (3663).

(4) المرجع السابق، (ج13 / 234) حديث رقم (3662).

(5) صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، ذكر الاستحباب للمرء أن يأمر بالمعروف، حديث رقم (288).

شدة الجهل عليه إلا حلماً، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله،

قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب فأتاه رجلٌ على راحلته كالبدوي فقال: يا رسول الله قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنتُ أخبرتهم أنهم إنْ أسلموا أتاهم الرزق رغداً، وقد أصابهم شدة وقحط من الغيث، وأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً،

فإن رأيت أن ترسل إليهم من يغيثهم به فعلت

قال: فنظر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى رجل جانبه أراه عمر فقال: ما بقي منه شيء يا رسول الله،

قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه فقلت له: يا محمد هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا؟

فقال: "لا يا يهودي، ولكن أبيعك تمرا معلوما إلى أجل كذا وكذا ولا أسمي حائط بني فلان"،

قلت: نعم، فبايعني (صلى الله عليه وسلم) فأطلقت همياني[1] فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهبٍ في تمر معلومٍ إلى أجل كذا وكذا،

قال: فأعطاها الرجل، وقال: "اعجل عليهم وأغثهم بها"

قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجلٍ من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه،

(1) الهِميان: كيس للنفقة يُشدُّ في الوسط.

فلما صلى على الجنازة دنا من جدارٍ فجلس إليه فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب بمطل، ولقد كان لي بمخالطتكم علم،

قال: ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره وقال: أي عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتفعل به ما أرى؟

فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة،

ثم قال: "إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن الطلب، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعا من غيره، مكان ما رُعته"

قال زيد: فذهب بي عمر فقضاني حقي وزادني عشرين صاعاً من تمر،

فقلت: ما هذه الزيادة؟

قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما رُعتك.

فقلت: أتعرفني يا عُمر؟

قال: لا، فمن أنت؟

قلت: أنا زيد بن سعنة.

قال: الحبر؟

قلت: نعم، قال: فما دعاك أن تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت وتفعل به ما فعلت؟

فقلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أختبرهما منه: يسبق حلمُهُ جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً فقد أختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرها مالاً- صدقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم،

فقال عمر: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم كلهم،

قلت: أو على بعضهم،

فرجع عمر وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم فآمن به وصدقه وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة، ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر(1).

ب- قصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع مشرك أراد قتله:

روى الإمام مسلم في صحيحه: عن جابر بن عبدالله قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قِبل نجد، فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة، فعلق سيفه بغصنٍ من أغصانها، قال: وتفرّق النّاسُ في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، ثم قال في

(1) صحيح ابن حبان، (ج1، 524) حيث رقم (288).

الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، قال: فشام السيف فها هو ذا جالسٌ[1].

وفي رواية أخرى: أن مشركاً قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائمٌ، فقال: يا محمد، من يمنعك مني؟

قال: الله،

قال: فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف،

فقال له: من يمنعك مني؟

قال: يا محمد كن خير آخذٍ

قال: تشهد أن لا إله إلا الله.

قال: لا، ولكني أعاهدك أن لا أُقاتلك، ولا أكون مع قوم يقتلونك،

قال: فخلى سبيله فجاء إلى أصحابه، فقال: جئتكم من عند خير الناس[2].

ج- رجوعه من الطائف:

لما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض نفسه على ثقيف، فردوا عليه رداً منكراً وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج رأسه عدة شجات.

حتى وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بستان عتبة بن ربيعة، فعمد إلى ظل شجرة عنب فجلس فيه، ثم رفع رأسه يدعو بهذا الدعاء:

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب توكله على الله وعصمة الله تعالى له، حيث رقم (843).
(2) مسند أبي يعلى الموصلي، (ج3 / 312) حديث رقم (1778) مسند جابر.

اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس،

يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟

إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي،

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك(1).

فما أن انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الدعاء قال: (فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت،

قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك.

فما شئت؟

إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يُشرك به شيئاً" (2).

---

(1) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (ج1/196).

(2) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، والملائكة في السماء آمين، فوافقت أحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم (3231) وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين، والمنافقين، حديث رقم (1795).

د) عفوه عن أهل مكة:

ومن أعظم صور أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) موقفه من أهل مكة عام الفتح في السنة الثامنة من الهجرة.

قال ابن هشام في السيرة: وأمسك النبي (صلى الله عليه وسلم) بعضادتي باب الكعبة، وقد اجتمع الناس من حوله، ما يعلمون ماذا يفعل بهم،

فخطب فيهم قائلاً: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دمٍ أو مالٍ يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج...

يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، وتلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] الآية كلها،

ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً، أخ كريمٌ وابنُ أخٍ كريم.

فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[2].

(1) سورة الحجرات، الآية (13).

(2) سيرة ابن هشام، (ج2، 412).

السبب الرابع: الإعجاز العلمي في القرآن

يشهد بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

مقدمة:

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، لا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لا تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾[1]

من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صرات مستقيم.

القرآن الكريم ليس كتاب طب، وفلا فيزياء ولا فلك، ولكنه كتاب هداية ومنهج، هذا القرآن الذي أوحى الله تعالى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز في لفظه، المتعبد بتلاوته، المحفوظ من التحريف، بحفظ الله له، الذي وقع به التحدي للإنس والجن، معاً فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2]

أما الإعجاز الذي وقع به التحدي فهو الإعجاز البياني، أي فصاحته ونظمه وأسلوبه البياني، وليس في مضمونه واشتماله على الكثير من العلوم

---

(1) سورة الجن، الآيات (1-2).

(2) سورة الإسراء، الآية (88).

المتنوعة، والإخبار عن الغيوب، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(1)

فقوله: (مفتريات) يدل على أن المراد هو النظم والأسلوب البياني، لا العلوم التي تحتويها، فكأنه قال: هاتوا عشر سور مثله في نظمه وقد سامحتكم بالمضمون.

وإلى هذا الرأي ذهب الإمام الفخر الرازي في تفسيره مفاتح الغيب حيث قال: والمختار عندي وعند الأكثرين أنه معجزٌ بسبب الفصاحة، واحتجوا على صحة قولهم بهذه الآية، لأنه لو كان وجه الإعجاز هو كثرة العلوم، أو الأخبار عن الغيوب، أو عدم التناقض لم يكن لقوله: (مُفْتَرَيَاتٍ) معنى.

أما إذا كان وجه الإعجاز هو الفصاحة صح ذلك، لأن فصاحة الفصيح تظهر بالكلام، سواء كان الكلام صدقاً أو كذباً. (2)

والحقيقة أنني أسوق هذا المساق سبباً لدخولكم أيها الأوروبيون في الإسلام، لأنكم آمنتم بالعلم، وأذهلتكم مكتشفاتكم العلمية، وظننتم أن ما توصلتم به من علوم لم يسبقكم إليها أحد!

والحقيقة أن كثيراً مما توصلتم إليه من علم، فإنه مسطور في كتاب الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(3).

---

(1) سورة هود، الآية (13).

(2) تفسير مفاتح الغيب، الفخر الرازي، ج17 / 325).

(3) سورة فصلت، الآية (53).

انظر إلى قول الله تعالى: (سَنُرِيهِمْ) الخطاب للغائب، وليس لنا نحن المسلمين، لأن الله تعالى يعلم أنه سيأتي زمان تكونون أنتم أيها الأوروبيون متقدمين في علوم الدنيا تقدماً كبيراً، فخاطبكم الله جل جلاله بأنه سيريكم آياته في الآفاق، أي في علوم الدنيا، والمجرات والقوانين الكونية، وفي أنفسكم، أي وسيريكم آياته في علوم الطب، وما يتعلق بعلم الأجنة، ومراحل خلق الإنسان، كل ذلك مما توصلتم إليه في مختبراتكم موجود مسطور في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً!

أيها الناس، أيها الأوروبيون، أيها العلماء:

إن معجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته، وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا يظهر فيه شيء مما أخبر به، أنه سيكون يدل على صحة دعواه.

على تلك الأمة الأمية نزل الوحي، وفيه علم الله، يصف أسرار الخلق في شتى المجالات، والآفاق، ويجلي دقائق الخلق في النفس البشرية، ويقرر البداية في الماضي، ويصف أسرار الحاضر، ويكشف غيب المستقبل.

عندما دخل الإنسان في عصر الاكتشافات العلمية، وامتلك أدق أجهزة البحث العلمي، وتمكن من حشد جيوش من الباحثين، في شتى المجالات يبحثون عن الأسرار المحجوبة في آفاق الأرض والسماء، وفي مجالات النفس البشرية، يجمعون المقدمات، ويرصدون النتائج، في رحلة طويلة عبر القرون، ولما أخذت الصورة في الاكتمال والحقيقة في التجلي،

وقعت المفاجأة الكبرى، بتجلي أنوار الوحي الإلهي الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، قبل أكثر من ألف وأربع مائة عام، بذكر تلك الحقيقة

في آية من القرآن الكريم، أو بعض آيةٍ بدقةٍ علمية معجزة، وبعبارات مشرقة.

وبهذا أنبأنا القرآن الكريم فقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (52) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]

إننا نحن المسلمون وأنتم أيها الأوروبيون على وعد من الله عز وجل، بأن يرينا آياته، فيتحقق لنا في هذه الرؤية، العلم الدقيق بمعاني هذه الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]

ومما سبق يتبين لنا أن البشرية على موعد من الله، متجدد ومستمر، بكشف آياته في الكون، وفي كتابه، أمام الأبصار، لتقوم الحجة، والبرهان، وتظهر المعجزة للعيان.

وسوف أقوم بعرض مجموعة من صور الإعجاز العلمي في القرآن العظيم وهي على سبيل بيان بعض الحقائق العلمية، وليس المقام هنا مقام استقصاء كل آيات الإعجاز العلمي في القرآن العظيم،

صور من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

ومن هذه الصور :

أ) الأهرامات وحديث القرآن عنها:

باحثون فرنسيون وأمريكيون يؤكدون أن الأحجار الضخمة التي استخدمها الفراعنة لبناء الأهرامات هي مجرد طين، تم تسخينه بدرجة حرارة عالية،

---

(1) سورة فصلت، الآيات (52 – 53).

(2) سورة النمل، الآية (93).

هذا ما عناه القرآن بدقة تامة، في قوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[1]

ويؤكد هذه الحقيقة كبار العلماء في أمريكا وفرنسا، وقد تم عرض صور المجهر الإلكتروني لعينات من حجارة الأهرامات، وجاءت الإثباتات العلمية على أن بناء الصروح العالية كان يعتمد على الطين، تماماً كما جاء في كتاب الله تعالى.

وهذا السر أخفاه الفراعنة ولكن الله حدثنا عنه، لتكون آية تشهد على صدق الكتاب العظيم.[2]

ب) نجاة فرعون:

لقد شاء الله تعالى أن يُغرق فرعون، وينجيه ببدنه فيراه أهل عصرنا فيكون ظاهرة تحير العلماء.

وقد كان جسد فرعون لا يزال كما هو، وعجب العلماء الذين أشرفوا على تحليل جثته كيف نجا ببدنه على الرغم من غرقه.

وكيف انتُزع من أعماق البحر وكيف وصل إلينا اليوم؟!

هذا ما حدثنا عنه القرآن الكريم في آية عظيمة يقول فيها تبارك وتعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[3]

---

(1) سورة القصص، الآية (38).

(2) الموسوعة المصورة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، عبدالكريم الكحيل، ج1.

(3) سورة يونس، الآية (92).

والسؤال: من الذي أخبر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بهذه الحقيقة الغيبية؟ إنه الله تعالى[1].

ج) أمواج تحت المحيط:

آية عظيمة كلما تذكرتها أتذكر عظمة الخالق سبحانه وتعالى يقول فيها: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[2]

يشبه الله أعمال الكفار برجل يعيش في أعماق المحيط حيث تتغشاه الأمواج العميقة من فوقه، ثم هناك طبقة ثانية من الأمواج على سطح الماء، وفوق هذا الموج سحاب كثيف يحجب ضوء الشمس، فهو يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض.

في هذه الآية العظيمة حقيقة علمية لم تتكشف يقيناً للعلماء إلا بعد عام (2007م) وذلك من خلال اكتشافهم لأمواج عميقة في المحيط لأول مرة، تختلف عن الأمواج السطحية على سطح الأرض، أي أن هناك موج عميق، وموج سطحي، وهو ما عبرت عن الآية بقوله: ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾.

وقد تفاجأ العلماء بهذه الأمواج التي أكدوا أنهم لم يكونوا يتوقعون وجودها، سبحان الله!

ألا تشهد هذه الآية على أن هذا القرآن هو حق[3].

---

(1) الموسوعة المصورة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، عبدالكريم الكحيل، المرجع السابق، ج1.

(2) سورة النور، الآية (40).

(3) الموسوعة المصورة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، عبدالكريم الكحيل، مرجع السابق، ج1.

د) المنطقة التي غُلبت فيها الروم:

إنها منطقة البحر الميت، التي دارت فيها معركة بين الروم والفرس، وغُلبت الروم، وقد تحدث القرآن عن هذه المنطقة، وأخبرنا بأن المعركة قد وقعت في أدنى الأرض، أي في أخفض منطقة على وجه اليابسة، فقال تعالى: ﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[1]

وقد ثبت بالفعل أن منطقة البحر الميت وما حولها هي أدنى منطقة على اليابسة حوالي (422م) تحت سطح البحر[2].

والسؤال: من الذي أخبر النبي الكريم بهذه الحقيقة العلمية، التي لم يكتشفها العلماء إلا في العصر الحديث.

ه) مرج البحرين:

يقول العلماء أن مياه النهر العذب تخترق البحر، لمئات الأمتار، في منطقة المصب، وعلى الرغم من الملوحة الزائدة لمياه البحر فلا يطغى أحدهما على الآخر، ويبقى التوازن قائماً لآلاف السنين، وفق قوانين فيزيائية محكمة بتقدير من الخالق عز وجل،

هذا الاكتشاف العلمي ذكره القرآن في آية عظيمة يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾[3]

---

(1) سورة الروم، الآية (1- 3).

(2) الموسوعة المصورة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، عبدالكريم الكحيل، مرجع السابق، ج1.

(3) سورة الفرقان، الآية (53).

و) بنان الإنسان:

ثبت علمياً أن كل إنسان على وجه الأرض منذ سيدنا آدم عليه السلام وحتى هذا العصر، له بصمة خاصة به، لا يشاركه فيها غيره.

هذه البصمة تتميز بخطوط معقدة من الانحناءات، وهي وسيلة للتعرف على هوية الشخص، ولو كانت أصابع اليد مستوية لا تحوي هذه التعرجات لم يتمكن المحققون من معرفة آثار الجريمة مثلاً.

هذه الحقيقة العلمية المكتشفة في العصر الحديث أشار إليها القرآن، وأخبرنا بأن الله تعالى قادر على تسوية بنان الإنسان وهي بصمته،

يقول الله تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[1]

ز) أصغر من الذرة:

بعد ما دخل العلماء إلى قلب الذرة، واكتشفوا أجساماً، أصغر من الذرة مثل الإلكترون، والبروتون، والنيوترون وجدوا أن المجسمات مثل النيوترون والبروتون، تتألف من (كواركات) أصغر منها،

ثم دخلوا إلى هذه (الكواركات) فاقترحوا أنها تتألف من أوتار صغيرة جداً أسموها الأوتار الفائقة، (من حيث الصغر والدقة).

هناك آية في كتاب الله تشير إلى كل ما هو أصغر من الذرة، ومنها هذه الأوتار، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[2]

(1) سورة القيامة، الآية (4).

(2) سورة يونس، الآية (61).

وتجلى وجه الإعجاز في هذه الآية أنها أشارت إلى ما هو أصغر من الذرة في زمن لم يكن أحد يعلم شيئاً عن الذرة، بل قبل زمن ليس بالبعيد كان الاعتقاد السائد أن الذرة هي أصغر شيء في الكون، ثم تبين أنه يوجد ما هو أصغر منها، وهو ما تحدثت عنه الآية بدقة، فسبحان الله! [1]

ح) الماء العذب والجبال:

إذا تأملنا مناطق الجبال نلاحظ وجود الماء العذب والنقي بقرب هذه الجبال، حتى إن العلماء يعتبرون أن أنقى أنواع المياه ما نجده أسفل الجبال، إذن هنالك علاقة بين الماء الفرات أي العذب، وبين الجبال الشاهقة أي الشامخة.

في كتاب الله تعالى ربط دقيق بين هذين الأمرين،

يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾[2]

والسؤال: ألا تعتبر هذه الآية تعبيراً دقيقاً لصورة الماء بين الجبال؟

إن البيئة الصحراوية التي عاش فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فيها مثل هذه المناظر، فمن أين جاء بهذا العلم، لو لم يكن رسولاً من عند الله[3].

ط) والجبال أوتاداً:

أثبت العلماء أن جميع جبال الدنيا حتى الجبال الجليدية لها جذور عميقة تشبه الأوتاد، تغوص في الأرض لعدة كيلومترات، وهذه حقيقة علمية أخبرنا عنها القرآن بكل دقة ووضوح، يقول الله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[4]

---

(1) موسوعة الإعجاز، مرجع سابق، ج2.

(2) سورة المرسلات، الآية (27).

(3) الموسوعة المصورة للإعجاز العلمي في القرآن، ج2.

(4) الموسوعة المصورة في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبدالكريم الكحيل، مرجع سابق، ج2، والآية رقمها 17 من سورة النبأ.

ي) النمل يتحطم مثل الزجاج:

اكتشف العلماء حديثاً أن جسم النملة مزود بهيكل عظمي خارجي صلب، يعمل على حمايتها، ودعم جسدها الضعيف، هذا الغلاف العظمي الصلب يفتقر للمرونة، ولذلك حين تعرضه للضغط فإنه يتحطم كما يتحطم الزجاج!

حقيقة تحطيم النمل والتي اكتشفت حديثاً أخبرنا بها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً في خطاب بديع على لسان نملة!

قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1]

فتأمل كلمة يحطمنكم، وكيف أن هذه الكلمة تعبر بدقة عن هذه الحقيقة العلمية[2].

ك) بينهما برزخ لا يبغيان:

نرى في هذه الصورة منطقة تفصل بين بحرين مالحين، وهذه المنطقة تسمى البرزخ المائي، وقد وجد العلماء لها خصائص تختلف عن كلا البحرين، على جانبيها، ووجدوا أيضاً لكل بحر خصائصه التي تختلف عن خصائص البحر الآخر.

وعلى الرغم من اختلاط ماء البحرين عبر هذه المنطقة إلا أن كل بحر يحافظ على خصائصه، ولا يطغى على البحر الآخر.

---

(1) سورة النمل، الآية (18).

(2) الموسوعة العلمية في الإعجاز العلمي للقرآن، مرجع سابق، ج3.

هذه حقائق في علم المحيطات لم تكتشف إلا منذ سنوات فقط، فسبحان الذي حدثنا عنها بدقة كاملة في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾[1]

ل) للقمر نور:

وجد العلماء حديثاً أن القر جسم بارد، بعكس الشمس، التي تعتبر جسماً ملتهباً، ولذلك فقد عبر القرآن بكلمةٍ دقيقةٍ عن القمر، ووصفه بأنه (نور) أما الشمس فقد وصفها بأنها (ضياء)،

والنور هو ضوء بلا حرارة، ينعكس عن سطح القمر.

أما الضياء: فهو ضوء بحرارة تبثه الشمس، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]

من كان يعلم زمن نزول القرآن أن القمر جسم بارد؟

إن هذه الآية تشهد على صدق كلام الله تعالى[3].

م) انشقاق القمر:

اكتشف العلماء في وكالة (ناسا) الأمريكية حديثاً وجود شق على سطح القمر، وهو عبارة عن صدع يبلغ طوله آلاف الكيلومترات،

وقد يكون ذلك إشارة إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[4].

---

(1) سورة الرحمن، الآية (19 – 20).

(2) سورة يونس، الآية (5).

(3) الموسوعة المصورة، مرجع سابق، ج3.

(4) سورة القمر، الآية (1).

ويمكن القول إن ظهور هذا الشق، وتصويره من قِبل علماء الغرب، هو دليل على اقتراب الساعة[1].

ن) معجزة تسلسل الطعام:

يؤكد خبراء التغذية أن أفضل طريقة للغذاء أن نتناول الماء أولاً،

ثم بعد نصف ساعة نتناول الفاكهة،

وبعدها بساعة يمكن تناول وجبة طعام

وهذه الطريقة في تسلسل الغذاء تجنب الإنسان الكثير من الأمراض، فقد أثبتت الدراسات أن شرب كوبين من الماء قبل وجبة الطعام يساعد على حرق الدهون الزائدة، والتخلص من الوزن الزائد.

إذاً النصيحة التي يقدمها الخبراء من أجل صحة أفضل أن تشرب الماء أولاً، ثم نتناول الفاكهة، ثم نتناول وجبة الطعام، وبخاصة الوجبة الدسمة.

العجيب أن القرآن الكريم ذكر هذا التسلسل بدقة في طريقة طعام أهل الجنة، يقول الله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (19) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[2]

---

(1) قلت: وهذه المعجزة وردت في السيرة حيث طلب أهل مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشق لهم القمر نصفين، دليلاً على صدق نبوته، فاجتمعوا في ليلة مقمرة، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يشق القمر، فانشق ودليله ما رواه البخاري في صحيحه، عن أنس بن مالك: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما،[انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب انشقاق القمر، حديث رقم (3868)].

(2) الموسوعة المصورة للإعجاز العلمي في القرآن، مرجع سابق، ج4، والآيات [17 – 21] من سورة الواقعة.

ش) البعوضة:

من آيات الله الدالة على عظمته قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ..﴾[1]

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي حفظه الله: إذا وقفت بعوضة على يدك قتلتها، ولا تشعر بشيء، وكأن شيئاً لم يحدث لهوانها عليك، إن في رأس البعوضة مئة عين[2]، ولو كبّر رأس البعوضة بالمجهر الإلكتروني لرأينا عيونها المئة على شكل خلية نحل، وفي فمها ثمان وأربعون سناً، وفي صدر البعوضة ثلاثة قلوب، قلب مركزي، وقلب لكل جناح، وفي كل قلب أذنيان، وبطينان، ودسّامان،

وهي تملك جهازاً لا تملكه الطائرات الحديثة، إنه جهاز (رادار) أو مستقبلات حرارية، بمعنى أن البعوضة لا ترى الأشياء بأشكالها وألوانها.

بل بحرارتها، فلو أن البعوضة وجدت في غرفة مظلمة فإنها ترى فيها الإنسان النائم، لأن حرارته تزيد على درجة حرارة أثاث الغرفة.

وحساسية هذا الجهاز واحد من الألف من درجة الحرارة المئوية.

والبعوضة تملك جهازاً لتحليل الدم، فما كل دمٍ يناسبها، فقد ينام طفلان على سرير واحد، وفي الصباح تجد جبين أحدهما مليئاً بلسعات البعوض، أما الثاني فلا تجد أثراً للسعِ البعوض فيه.

---

(1) سورة البقرة، الآية (26).

(2) الصواب أن للبعوضة عينان في كل عين مئات العدسات، وهي تشبه خلية النحل، انظر الموسوعةالمصورة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبدالدايم الكحيل، صورة عين البعوضة.

والبعوضة تملك جهازاً للتخدير، فلو غرست خرطومها في جلد الإنسان النائم لقتلها، ولكنها تخدر موضع لسعها، وحينما يزول أثر المخدر يشعر النائم بألم اللسع، في حين أن البعوضة تطير في جو الغرفة.

وتملك البعوضة جهازاً لتمييع الدم الذي تمتصه من الإنسان، حتى يتيسر له المرور عبر خرطومها الدقيق.

وللبعوضة خرطوم فيه ست سكاكين تُحدِثُ في جلد الملدوغ جرحاً مريعاً، ولا بد من أن يصل الجرح إلى وعاء دموي، والسكينتان الخامسة والسادسة تلتقيان لتكونا أنبوباً لامتصاص دم الملدوغ.ويرّفُ جناحا البعوضة عدداً من المرات في الثانية الواحدة[1].

حيث يصل الرفيف إلى درجة الطنين.

وفي أرجل البعوضة مخالب إذا أرادت أن تقف على سطح خشن، ولها محاجم، إذا أرادت أن تقف على سطح أملس.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[2]:

وهذا جواب اعترض به الكفار على القرآن

وقالوا: إن الرب أعظم من أن يذكر الذباب، والعنكبوت، ونحوها من الحيوانات الخسيسة، فلو كان ما جاء به محمد كلام الله، لم يذكر الحيوانات الخسيسة،

(1) يصل عدد رفات جناحي البعوضة إلى (500) رفة في الثانية الواحدة، انظر: الموسوعة المصورة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبدالدايم الكحيل، الإعجاز في (بعوضة فما فوقها).

(2) سورة البقرة، الآية (26).

فأجابهم الله تعالى بأن قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[1].

فإن ضرب الأمثال لبعوضة فما فوقها إذا تضمن الحق، وإيضاحه، وإبطال الباطل، وإدحاضه كان من أحسن الأشياء، والحسن لا يستحيا منه.

إن البعوضة ليست أقل شأناً من الحوت الأزرق الذي يبلغ وزنه مئة وخمسين طوناً، ويستهلك وليده في الرضعة الواحدة ثلاثمائة كيلومن الحليب، حيث تعادل ثلاث رضعات من الحليب يومياً طناً واحداً.

وإذا أراد الحوت أن يأكل أكلة متوسطة يملأ بها معدته يحتاج إلى أربعة أطنان من السمك، وهذه وجبة ليست دسمة.

وليس خلقُ البعوضة بأقل من خلق الحوت، والدليل قوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾[2].

إنه خلق كامل من الذرة إلى المجرة، نظام واحد، وإتقان واحد.

صنع الله الذي أتقن كل شيء[3].

ك) الظلمات الثلاث:

يقول البروفسور كيث مور، أحد أشهر علماء الأجنة في العالم: ينتقل الجنين من مرحلة تطور إلى أخرى، داخل ثلاثة أغطية، التي كانت قد

---

(1) سورة البقرة، الآية (26).

(2) سورة الملك، الآية (3).

(3) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الدكتور محمد راتب النابلسي، منشورات دار مكتبي، دمشق، 2005م، (ج229/2).

ذُكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾[1]

هذه الظلمات هي مرادفة للمعاني التالية:

1- جدار البطن.

2- جدار الرحم.

3- المشيمة.

وقد ثبت علمياً أن تطور الجنين يمر عملياً في بطن الأم عبر ظلمات ثلاث، هي:

الظلمة الأولى: جدار البطن.

الظلمة الثانية: جدار الرحم.

الظلمة الثالثة: المشيمة بأغشيتها.

قال الله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[2]

ووجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو إشارة القرآن الكريم إلى أن عملية تخلّق الجنين تتم في بطن الأمهات، عبر ظلمات ثلاث، وهذه العمليات الخفية لم يكن لأحد علم بها، بما يشهد على إعجاز هذا الكتاب العظيم[3].

---

(1) سورة الزمر، الآية (6).

(2) سورة الزمر، الآية (6).

(3) موسوعة الإعجاز العلمي للقرآن، عبدالدايم الكحيل، ج (4).

ل) سعادة الأبوة:

في بحث جديد لثلاث جامعات، هي جامعة كالفورنيا، وجامعة ستانفورد، وجامعة كولومبيا البريطانية، يؤكد أن الآباء أكثر سعادة من غير الآباء، أي أن الزواج وإنجاب الأطفال يجلب للمرء السعادة.

وهذه الدراسة تناقض الرأي السائد في الغرب (أوروبا) أن السعادة لا ترتبط بالزواج وإنجاب الأطفال.

هذه الثقافة هي التي قادت الأوروبين إلى الإقلال من إنجاب الأطفال، وإلى الاستغناء عن الزواج بصديقة مثلاً!

وتقول البروفيسورة إليزابت دون: إن الآباء يكتسبون مشاعر إيجابية أكثر من نظرائهم الذين لم ينجبوا أطفالاً أو لم يتزوجوا.

وهذا ما يجعل الزواج نعمة عظيمة، وآية من آيات الله تعالى، القائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

السبب الخامس: رحمة الإسلام بالإنسان،والحيوان، والطير، وحفظ وحماية البيئة:

لقد بعث الله عز وجل جميع أنبياءه بالإسلام، الذي هو دين الرحمة، ومظاهر رحمة الإسلام شاملة لكل الكون، فإن الإسلام رحمة للناس والحيوان والطير، ولهذا الكون بأسره، وإذا أردنا أن نبين وجه رحمة الإسلام بالإنسان فهي شاملة للإنسان المؤمن وغير المؤمن، بالله عز وجل.

(1) الموسوعة المصورة للإعجاز العلمي في القرآن، ج(3)، والآية الكريمة هي رقم (21) من سورة الروم.

أ) رحمة الإسلام بالمسلمين المؤمنين، الموحدين لله عز وجل:

وتظهر هذه الرحمة في حفظ الضرورات الخمس للمسلمين، وهي:

حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ المال، وحفظ النسل.

أما حفظ الدين:

فالإنسان يدخل في الإسلام بحرية وقناعة تامة، بهذا الدين وليس عن طريق الإكراه أو التهديد، فما قيمة أن يجبر الإنسان على الدخول في الإسلام عنوة، فإن فعلنا ذلك وأجبرناه على الدخول في الإسلام بالقوة، فلعله لايصلي وإن صلى ظاهراً فقد يصلي بغير وضوء مثلاً، وهكذا، لن يفعل شيء من العبادات التي أمر الله عز وجل بها.

والقاعدة في الإسلام ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2]

فالله تعالى لا يريد إنساناً مكرهاً على الإسلام، بل يريد من عباده الداخلين في الإسلام أن يكونوا مقبلين على ربهم، محبين له، مستجيبين لأمره،

قال تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[3]

(والذين آمنوا أشد حبا لله) فعلاقة العبد بربه تقوم على محبة الله وطلب رضوانه، وامتثال أمره، ولم يرِدْ في التاريخ أن المسلمين أجبروا أحداً على الدخول في الإسلام كرهاً.

(1) سورة البقرة، الآية (256).

(2) سورة الكهف، الآية.(29).

(3) سورة المائدة، الآية.(54).

فإن دخل الإنسان إلى الإسلام عن رضاً منه وقناعة تامة بأن الإسلام هو دين الحق _ وهو كذلك بلا شك، وشهد أن لا إله إلا الله، وأنا محمد رسول الله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاةوقبل بكل شرائع الإسلام، ثم ارتد بعد ذلك عن الإسلام، فإن الإسلام حفظاَ للدين يجري عليه أحكام الردة، لقوله صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه) [1].

أما حفظ النفس:

فالمسلم معصوم الدم، لا يحل لأحد التعدي على دم امرء مسلم بقتله ظلماً، فمن فعل ذلك وقتل مسلماً متعدياً وظلماً، فإن الإسلام حفظاً للنفس أوجب على القاتل القصاص قال الله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]

وكما حرم الإسلام قتل المسلم بغير حق، حرم أيضاً على المسلم قتل نفسه أو ما يُسمى الانتحار، ويعتبر الإسلام أن من يقتل نفسه قد ارتكب جناية عظيمة قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ[3] بها في بطنه في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً،

ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً[4].

(1) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتد، باب حكم المرتد، حديث رقم (6922).

(2) سورة البقرة، الآية (179).

(3) يتوجأ بها في بطنه: معناه يطعن، ووجأته بالسكين، أي ضربته بها،[انظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، ج5 / 152].

(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الإنسان نفسه، حديث رقم (109).

أما حفظ العقل:

فقد كرم الله عز وجل الإنسان بالعقل، والله تعالى يخاطب أصحاب العقول في آيات كثيرة، والعقل في الإسلام مناط التكليف، وبهذا العقل يتميز الإنسان عن الحيوان

ولحفظ العقل حرم الإسلام شرب الخمر، لأنها تُذهب العقل، وتتلف خلايا الدماغ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]

أما حفظ المال:

أمر الله عز وجل الإنسان المسلم بالضرب في الأرض، لكسب الرزق الحلال، وحرم عليه كسب المال بالطرق المحرمة كالتجارة بالسلع المحرمة مثل الخمر، والخنزير، أو الحصول على المال عن طريق الربا، أو الرشوة، أو السرقة، بل واعتبر السرقة جريمة تستحق العقوبة الشديدة، ولحفظ المال جعل عقوبة السارق قطع اليد. قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]

أما حفظ النسل:

فقد شرع الله عز وجل الزواج لحفظ الجنس البشري، وهذا من رحمة الله عز وجل، وآية من آياته، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

(1) سورة المائدة، الآية (90).
(2) سورة المائدة، الآية (38).

أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

ولحفظ النسل حرم الله الزنا، واعتبره جريمة يستحق فاعليها العقاب في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

ب) رحمة الإسلام بغير المسلمين:

يُنعم الله عز وجل على جميع خلقه في الدنيا بمختلف أنواع النعم، مؤمنهم وكافرهم، أما في الآخرة فرحمته خاصة بالمؤمنين، الموحدين به.

قال الله عز وجل: ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[3]

فمن رحمته الواسعة أنه يُسبغ نِعَمه على جميع خلقه، حتى أولئك الذين لا يؤمنون به، ويشركون معه غيره في العبادة، ومع هذا كله فالله تعالى يرحمهم وينعم عليهم بشتى أنواع النعم، كالصحة والمال والأولاد، ووفرة الخيرات، من طعام وشراب ولباس... إلخ.

هذا كله على سبيل الاستدراج، لا لمحبته لهم، أو رضاه عنهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا

---

(1) سورة الروم، الآية (21).

(2) سورة النور، الآية (2).

(3) سورة الأنعام، الآية (147).

بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]

يقول ابن كثير في تفسيره[3]: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه، فيجتمعوا على الكفر، لأجل المال، ، ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ أي سلالم، ودرجاً من فضة، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي، ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي يصعدون، ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ أي أغلاقاً على أبوابها، ﴿وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾ أي جميع ذلك يكون فضة وزخرفاً، أي ذهباً، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي إنما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة، الحقيرة عند الله تعالى، أي يعمل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب، ليوافوا الآخرة، وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها.

لقد أرسل الله تعالى موسى إلى فرعون ملك مصر آنذاك، وكان فرعون كافراً، بل أكثر من ذلك، أنه ادعى الألوهية، مع كثرة ما أعطاه الله من النعم، كالملك والكنوز، والجنان، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ

---

(1) سورة الأنعام، الآيات (124 – 25).

(2) سورة الزخرف، الآيات (34 – 35).

(3) تفسير ابن كثير، (ج4 / 193).

قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [1]

وقد ذكر الله تعالى النعم التي كان فيها فرعون وقومه قبل إهلاكهم، فقال عز وجل: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾[2]

وهذه صورة حية لرحمة الله بغير المؤمنين به في الدنيا، ممثلة بفرعون الذي أغدق الله عليه النعم لمئات السنين وهو رجلٌ كافر.

ومن رحمة الإسلام بغير المسلمين من أهل الكتاب أنه يعترف بهم ويعطيهم حقهم في المجتمع الإسلامي[3]، وهم يعيشون بأمان واطمئنان، بين المسلمين، منذ ألف واربعمائة عام، ولم يكره أحدا منهم على الدخول في الإسلام.

رحمة الإسلام بالحيوان:

لا تقتصر رحمة الإسلام بالإنسان، كما ذكرنا، بل رحمة الإسلام تشمل الحيوان، والطير والبر والبحر، وكل شيء خلقه الله في **هذا** الكون.

ومن مظاهر رحمة الإسلام بالحيوان أنه حرم تعذيب الحيوان الضعيف، وأمر بالإحسان إليه.

روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض) [4].

(1) سورة الزخرف، الآية (51).

(2) سورة الدخان، الآيات (25 – 27).

(3) انظر كتاب(حقوق أهل الذمة في الإسلام)، لابن القيم الجوزية.

(4) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن، حديث رقم (3318).

وهكذا نرى أن الإسلام حرم تعذيب الحيوان، وقتله، وأن هذا السلوك يؤدي إلى دخول النار، وحرم كذلك التحريش بين البهائم، فقد ورد في الحديث عن ابن عباس قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين البهائم) [1].

قال الإمام البيهقي في شعب الإيمان: قال الحليمي رحمه الله: ومن وجوه اللعب، التحريش بين الكلاب والديوك، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم(أنه نهى عن التحريش بين البهائم، وهو حرام، ممنوع لا يؤذن لأحد فيه) [2].

ومن صور رحمة الإسلام بالحيوان أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن الدابة، وأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالإحسان إلى الحيوان، وبيَّن أن جزاء الإحسان إلى الحيوان يكون سبباً لمرضاة الله تعالى ودخول جنته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بينما رجل بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، فقال: (في كل ذات كبد رطبة أجر) [3].

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في التحريش بين البهائم، حديث رقم (2562) وهو حديث موقوف أصح.

(2) شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، (ج8/ 482) ومعنى التحريش: هو الإغراء وتهييج بعضها على بعض، كما يفعل بالجمال والكباش والديوك، وغيرها، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، (ج934/1).

(3) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الآبار على الطرق، حديث رقم (2366).

رحمة الإسلام بالطير:

والطير أمة من الأمم، أمر الإسلام بالإحسان إلى الطير وعدم التعرض لها، ونبي الرحمة بين ذلك في أحاديث، فعن عبدالرحمن بن عبدالله، عن أبيه، قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرةً معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمرة فجعلت تفرش،

فجاء النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: (من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها!).

ورأى قرية نمل قد أحرقناها،

فقال: (من حرّق هذه؟)

قلنا: نحن.

قال: (إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار) [1].

والله عز وجل بيّن في القرآن العظيم أن الطير أمة من الأمم قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[2]

قال مجاهد: أي أصناف مصنفه تعرف بأسمائها.

وقال قتادة: الطير أمة، والإنس أمة، والجن أمة[3].

(1) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الآبار على الطرق، حديث رقم (2366).
(2) سورة الأنعام، الآية (38).
(3) تفسير ابن كثير، (ج2/ 210).

وبين الله عز وجل في القرآن العظيم أن أمة الطير عابدة لله، مصلية له، ومسبحة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1]

وقد سخر الله الطير يُسبحن مع أنبيائه، ومنهم داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[2]

لقد أمر الله عز وجل بالإحسان إلى الطير، واعتبرها أمة مسبحة بحمده، مصلية عابدة له، وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم الأمة إلى عدم التعرض لهذه الطيور أو قتل فراخها، وهو وجه من أوجه رحمة الإسلام بالطير.

عناية الإسلام بالبيئة:

من أوجه عناية الإسلام بالبيئة، ندب النبي (صلى الله عليه وسلم) أمته بتنظيف أفنيتها وساحاتها.

فقد جاء في الحديث: (إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تتشبهوا باليهود)[3].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (طهروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تُطهر أفنيتها) [4].

---

(1) سورة النور، الآية (41).

(2) سورة الأنبياء، الآية (79).

(3) جامع الترمذي، أبواب الأدب، باب ما جاء في النظافة، حديث رقم (2799).

(4) المعجم الأوسط، الطبراني، حديث رقم (4057).

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن نظافة الطريق وإماطة الأذى عنه من شعب الإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام في الصحيح: (الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن طريق، والحياء شعبة من الإيمان)[1].

كما نهى الإسلام عن التغوط في طريق الناس، وفي ظلهم، أي في مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلاً، ومناخاً ينزلونه ويقعدون فيه.

فعن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: اتقوا اللعانين،

قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟

قال: الذي يتخلى في طريق الناس، أو في ظلهم[2].

والمراد باللعانين هما الأمران الجالبان للعن، الحاملان الناس عليه، فإن من عادة الناس أنهم إن رأوا من تخلى في طريقهم أو ظلهم لعنوه.

وقد نهى الله عز وجل عباده المؤمنين عن الإفساد في الأرض، وبيّن أن هذا العمل هو من أعمال المنافقين، المفسدين في الأرض، الذين يستحقون العذاب الأليم، يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[3]

فالمنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث: وهو محل نماء الزروع والثمار.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، حديث رقم (35).

(2) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطريق والظلال، حديث رقم (269).

(3) سورة البقرة، الآيتان (205 – 206).

والنسل: وهو نتاج الحيوانات، الذي لا قوام للناس إلا بهما،

قال مجاهد: إذا سعى في الأرض إفساداً منع الله القطر فهلك الحرث والنسل(1).

والله لا يحب الفساد: أي لا يحب من هذه صفته، ولا من يصدر منه ذلك(2).

ومن أوجه عناية الإسلام بالبيئة نهيه عن قطع الشجر حتى في الحروب، حيث كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي الجيوش الإسلامية قائلاً لهم: ألا تخونوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، (أي بالجثث) ولا تقتلوا طفلاً، أو امرأة، أو شيخاً، ولا تحرقوا نخلاً، ولا تقطعوا شجرة(3).

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على غرس الأشجار وزراعتها، لما لها من أثر جمالي على البيئة، هذا فضلاً عن ثمارها، وما في ذلك من الأجر والثواب، حين يأكل من ثمار هذه الأشجار الإنسان، والطيور، والبهائم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسانٌ، أو بهيمة إلا كان له به صدقة) (4).

---

(1) تفسير ابن كثير، (ج2 / 204).

(2) تفسير ابن كثير، (ج2 / 204).

(3) فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، ص(351).

(4) صحيح البخاري، كتاب المزارعة باب فضل الزرع والغرس حديث رقم (2320) وصحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، حديث رقم (1553).

ومن هدي النبي صلى الله عليه وسلم لأمته أن لا يتوقف المسلم عن زراعة الفسائل حتى لو قامت عليه القيامة، حيث جاء في الحديث: إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة فليغرسها[1].

هذه أوجه عناية الإسلام بالبيئة، فهل لديكم أيها الأوروبيون قوانين فيها رحمة للإنسان والحيوان، والطير وعناية بالبيئة، مثل هذه القوانين الربانية؟

فإن كان في تشريعاتكم الحديثة في هذا القرن الحادي والعشرين ما يقرب من ذلك،

فيكفي أن قوانينكم بشرية، أما قوانيننا فهي ربانية، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[2]

وإن كان عندكم بعض قوانيننا فيكفي أن لنا فضل السبق.

فهذه الآيات نزلت منذ ألف وأربع مئة عام، هذه الأحاديث قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم، منذ ألف وأربع مئة عام، وجاء بتشريعات تحفظ كرامة الإنسان، وتحمي الحيوان، وتُحسِنُ إلى الطير، وتحافظ على البيئة.

لقد خاطب الله عز وجل السماء والأرض، فقال لهما:

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[3]

أما آن لكم أن تأتوا إلى دين الله طائعين مسلمين؟

---

(1) مسند أحمد، (ج2 /251).

(2) سورة فاطر، الآية (14).

(3) سورة فصلت، الآية (11).

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1]

السبب السادس: عدل الإسلام المطلق:

مقدمة:

من أعظم الأسس التي جاء بها الإسلام هو العدل، بل جاء الإسلام بالعدل المطلق، وإن شئت فقل: الإسلام هو العدل المطلق، ولا عدل مطلق إلا في الإسلام.

لقد عصف الظلم في البشرية في عصور قبل البعثة المحمدية، وأصبح العالم يموج في ظلمات من الظلم والجور والاستعباد، استعباد الإنسان لأخيه الإنسان.

فالمجتمعات مقسمة إلى سادة وعبيد، وهؤلاء العبيد لا وزن لهم ولا حقوق.

والقبائل العربية يغزوا بعضها بعضاً، فيأكل القوي منهم الضعيف، فيسبى نساؤهم، ويسلب أموالهم

وأما وضع المرأة فهي كسقط المتاع، يتزوج الرجل ما شاء من النساء، وله أن يُطلق زوجته ما شاء من الطلقات، بدون ضابط، ومن وُلد له جارية (فتاة) دفنها حية في التراب، وهو ما يُعرف بوأد البنات.

وتحت وطأة هذا الظلم الذي كان يموج في جزيرة العرب كموج البحار، أنّت جزيرة العرب، وصاحت هل من منقذ؟

---

(1) سورة آل عمران، الآية (83).

وفي وسط هذا الظلم والظلام الذي عمَّ أرجاء الكون، نظر الله تعالى إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من الحنفية السمحة.

وشاءت حكمة الله عز وجل أن ينظر إلى هذا الكون نظرة رحمة، وأن يستجيب لاستغاثة الكون، فأنزل الله تعالى نور الإسلام، ليبدد ظلمات الجهل والجاهلية، فأقام موازين العدالة. قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾[1]

إنها موازين العدالة الربانية، التي بُعث بها سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، ليقيم العدالة المطلقة بين العباد على وجه الأرض.

فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، ومحى التفاخر بالآباء والأجداد، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2]

وسوف نتحدث عن العدل في الإسلام في مبحثين:

المبحث الأول: العدل بين المسلمين أنفسهم.

المبحث الثاني: عدل الإسلام مع غير المسلم

---

(1) سورة الرحمن، الآيات (7 – 8).

(2) سورة الحجرات، الآية (13).

المبحث الأول: العدل بين المسلمين أنفسهم

لقد أقام الإسلام العدل الكامل بين المسلمين عربهم وعجمهم، وأبيضهم وأسودهم، وسيدهم وعبيدهم.

فمن أوجه العدل الذي جاء به الإسلام:

أ – العدالة في فرض التكاليف:

فالصلاة والصيام والزكاة والحج مفروضة على جميع المسلمين، على الأمير وعلى الغفير، على الغني وعلى الفقير، فكل المسلمون مطالبون بأداء الصلاة على وقتها، وكل المسلمين مطالبون بالصيام في شهر رمضان، وكلهم مطالبون بأداء الزكاة، (إن هم امتلكوا النصاب وحال الحول) وكذلك الحج وسائر التكاليف.

فالناس أمام التكاليف سواء، والخطاب الرباني يشمل جميع المسلمين رجالاً ونساءً، أغنياء، وفقراء، الأبيض والأسود، الحاكم والمحكوم.

ب – الناس أمام القضاء متساوون:

العربي والأعجمي والشريف والوضيع متساوون أمام القضاء الإسلامي، لا حصانة لأحد بسبب منصب أو وظيفة، أو حسب، أو سلالة، حتى لو كان ذمياً، (يهودياً أو نصرانياً) يستطيع أن يقاضي أي شخص في الدولة الإسلامية، مهما علا منصبه.

وهذا البند غير موجود في أي دولة على وجه الأرض، حتى الدول الغربية التي تزعم أنها دول الحريات، وحقوق الإنسان، وإن وُجد فهو صوري، أي شكلي، يقصد به تجميل وجه الديمقراطيات الغربية، فارغ من المضمون.

روى الإمام البخاري في صحيحه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج[1] الحرة[2]، التي يسقون بها النخل.

فقال الأنصاري: سرح[3] الماء يمر، فأبى عليه؟

فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: (اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك، فغضب الأنصاري فقال: إن كان ابن عمتك؟[4]

فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر).

فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[5]

وهنا نرى العدالة في أبها صورها، رجل من عامة المسلمين يختصم مع الزبير، وهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائد الدولة ورئيسها، وحاكمها لا يمنعه ذلك من مقاضاة الزبير على نسبه الشريف، وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يرفع أمره إلى الحاكم والقائد، فيحكم

---

(1) شراج: جمع شرج، وهو مسيل الماء من المرتفع إلى السهل.

(2) الحرة: الأرض الصلبة الغليظة، ذات الحجارة السوداء، وفي المدينة حرتان.

(3) سرح: أرسله وسيبه.

(4) (إن كان ابن عمتك) أي: لأنه كان ابن عمتك، حكمت له بذلك، قال ذلك عند الغضب، وكان زلة منه رضي الله عنه، انظر {صحيح البخاري، بتعليق د. مصطفى البغا (ج111/3)}.

(5) انظر صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار، حديث رقم (2359) والآية رقم 65 من سورة النساء.

النبي صلى الله عليه وسلم للأنصاري بالفضل لا بالعدل، فلما اعترض الأنصاري على هذا الحكم، وقال ما قال، رجع النبي صلى الله عليه وسلم فحكم بالعدل، وقال: (اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر) أي الحواجز التي تحبس الماء، والمعنى حتى تبلغ تمام الشرب.

ج) العدالة في تطبيق الحدود:

كانت الأمم السابقة إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.

ولكن الناس أمام العدالة في الإسلام متساوون، فإن سرق الشريف يقام عليه الحد تماماً كما يُقام على الضعيف، ففي فتح مكة سرقت امرأة مخزومية (أي من بني مخزوم) سرقت حلياً من ذهب، وهذه المرأة اسمها (فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بنت أخي أبي سلمة عبدالله بن عبدالأسد).

فاهتمت قريش بأمرها، فقالوا: من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن يجترء عليه، إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

" أتشفع في حد من حدود الله؟ "

ثم قام فخطب ثم قال:

(إنما أهلك الذين قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[1] وحاشاها أن تسرق.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم (3475).

هذا هو عدل الإسلام، إقامة الحدود على كل مسلم ومسلمة،إذا ارتكب حداً من حدود الله، لا واسطة، ولا محسوبية، ولا قرابة، ولا نسب، يعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، مدويةً (أتشفع في حد من حدود الله؟) استفهام إنكاري.

" وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " .

المبحث الثاني: عدل الإسلام مع غير المسلمين

لقد وضع القرآن الكريم أسس العدالة في الحكم في الإسلام.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(1)

يقول الأستاذ سيد قطب في الظلال:

فأما الحكم بالعدل بين الناس، فالنص يطلقه هكذا عدلاً شاملاً (بين الناس) جميعاً، لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب.

ولا عدلاً مع أهل الكتاب، دون سائر الناس،

وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه (إنساناً).

فهذه الصفة (صفة الناس) هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعاً، مؤمنين وكفاراً، أصدقاء وأعداء.

سوداً وبيضاً، عرباً وعجماً.

والأمة المسلمة قيّمة على الحكم بين الناس بالعدل، متى حكمت في أمرهم.

هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط، في هذه الصورة إلا على يد الإسلام.

وإلا في حكم المسلمين، وإلا في عهد القيادة الإسلامية للبشرية.

والذي افتقدته من قبل، ومن بعد هذه القيادة، فلم تذق له طعماً قط، في مثل هذه الصورة الكريمة التي تتاح للناس جميعاً.

---

(1) سورة النساء، الآية (58).

لأنهم (ناس) لا لأي صفة أخرى زائدة على الأصل الذي يشترك فيه الناس! وذلك هو أساس الحكم في الإسلام[1].

والقرآن يقرر أن الحكم بالعدل يجب أن يكون ثابتاً حتى مع الأعداء، ومع من تكرهون أيها المسلمون، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقاً كان أو عدواً.

ولهذا قال: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه[3].

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

وما من عقيدة أو نظام في هذه الأرض يكفل العدل المطلق للأعداء المشنوئين، كما يكفله لهم هذا الدين حين ينادي المؤمنين به أن يقوموا لله في هذا الأمر، وأن يتعاملوا معه، متجردين عن كل اعتبار.

وبهذه المقدمات في هذا الدين، كان الدين العالمي الإنساني الأخير الذي يتكفل نظامه للناس جميعاً – معتنقيه وغير معتنقيه – أن يتمتعوا في ظله بالعدل وأن يكون هذا العدل فريضة على معتنقيه، يتعاملون فيها مع ربهم، مهما لاقوا من الناس من بغض وشنآن) [4].

---

(1) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، (ج2 /689).

(2) سورة المائدة، الآية (8).

(3) تفسير ابن كثير، (ج2 / 62).

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج2/ 852).

من صور عدل الإسلام مع غير المسلمين:

أ- محمد بن عمرو بن العاص والقبطي:

حيث يروى أن محمد بن عمرو بن العاص سابق قبطياً على فرس، فسبق القبطي ابن أمير مصر، وهو محمد بن عمرو بن العاص، فغضب محمد، وضرب القبطي بالسوط، وهو يقول له: خذها وأنا ابن الأكرمين.

وقام أمير مصر بحبس القبطي حتى لا يشكو ابنه إلى الخليفة، ولما أفلت القبطي من حبسه ذهب إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وشكا لعمر بن الخطاب ما أصابه من محمد بن عمرو بن العاص.

فاستبقاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة، وكتب إلى واليه على مصر عمرو بن العاص أن يحضر إليه هو وابنه محمد، فلما حضرا دعاهما إلى دار القضاء للقصاص، فلما مثلا فيه،

نادى عمر بن الخطاب أين القبطي؟ دونك الدرة (عصا يضرب بها) خذها فاضرب بها ابن الأكرمين.

فأخذ القبطي الدرة، وضرب بها ابن عمرو بن العاص، حتى استوفى حقه.

فلما فرغ قال عمر بن الخطاب: اجلد والده، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطان والده، قال القبطي: يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني.

قال عمر: إنك والله لو ضربته ما حُلنا بينك وبينه، حتى تكون أنت الذي تدعه، ثم التفت إلى عمرو غاضباً وقال قوله المشهور: يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

لقد طبق قضاة المسلمين مبدأ المساواة في قضائهم إلى أقصى حد ممكن.

ب- درع علي بن أبي طالب:

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، افتقد درعاً، وكان في ذلك الوقت أميراً للمؤمنين، فوجدها عند نصراني في السوق، فطلبها الأمير، وعزها النصراني، فذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى القاضي شريح، يخاصم النصراني في الدرع، ويقول: (إنها درعي ولم أبع ولم أهب) أي ما بعتها لأحد، وما وهبتها لأحد.

فسأل القاضي شريح النصراني: ما تقول فيما ذكر أمير المؤمنين؟

فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب.

فالتفت القاضي شريح إلى علي بن أبي طالب يسأله: يا أمير المؤمنين هل عندك بينة؟ هل عندك شهود على أن هذا الدرع إنما هو لك؟

فقال علي رضي الله عنه: (ما عندي بينة، وما عندي شهود).

فيقضي شريح بالدرع للنصراني، فيأخذها وينصرف،

وأمير المؤمنين ينظر إليه ولا يقول شيئاً.

ج- فتح مدينة سمرقند:

عندما فتح القائد المسلم قتيبة بن مسلم مدينة سمرقند توجه وفد من أهلها إلى المدينة المنورة يشكون القائد قتيبة بن مسلم لأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، فاستقبل أمير المؤمنين وفد أهل سمرقند، وسألهم عن حاجتهم؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما هي شروط الإسلام قبل دخول المدن؟

فقال أمير المؤمنين: أولاً نعرض عليهم الإسلام، فإن رفضوا طالبناهم بالجزية، فإن أبو فالحرب.

فقال الوفد: إن قتيبة بن مسلم دخل المدينة غدراً، ولم يعرض علينا هذه الأمور، فلم يوبخهم أمير المؤمنين، ولم يقل لهم: إن هذا الجيش خرج فاتحاً حاملاً مشعل الهداية، جاءكم بالإسلام العظيم، وأنتم أتيتم تشكونه، لم يقل لهم ذلك، بل كتب رسالة إلى قائده قتيبة بن مسلم يطلب منه أن يعين قاضياً مسلماً يقضي بينه وبين أهل سمرقند، وسلمهم الكتاب لإيصاله للقائد قتيبة .

ولما رجع الوفد إلى مدينة سمرقند قدموا الكتاب إلى القائد قتيبة بن مسلم، فأخذه وقرأه، ثم عين قاضياً اسمه (جُميع بن حاضر الباجي) ليحكم بينه وبين وفد أهل سمرقند.

فاجتمع عند القاضي" جُميع بن حاضر الباجي" وفد أهل سمرقند والقائد قتيبة بن مسلم في جلسة قضاء هي الأغرب في تاريخ البشرية.

فاستمع القاضي إلى قول وفد أهل سمرقند، ثم استمع إلى قول القائد قتيبة ابن مسلم (الذي هو نفسه عينه قاضياً للنظر في هذه القضية)،

ثم جاء حكم القاضي(جُميع بن حاضر الباجي)، كأغرب حكم قضائي عرفه التاريخ،

حيث قضى بأن يخرج قتيبةوجيشه الإسلامي من مدينة سمرقند، ثم يعرضوا بعد ذلك على أهلها الإسلام، أو الجزية، أو القتال.

والأشد غرابة أن يقبل قتيبة بن مسلم هذا الحكم، ويأمر جيشه بأن يجهز نفسه للخروج، ولما رأى أهل سمرقند هذه العدالة المطلقة حيث :

أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز يقبل شكواهم، ويكتب كتاباً إلى قائده العسكري قتيبة بن مسلم، وقتيبة ينفذ أمر أمير المؤمنين ويعيّن قاضياً،

والقاضي يحكم لصالح أهل سمرقند، وهم غير مسلمين،وليس للقائد المسلم الذي عينه قاضيا،والقائد يقبل هذا الحكم،ولما رأى أهل سمرقند العدالة المطلقة أقروا بقاء المسلمين في مدينتهم واعتنقوا الإسلام، لعدله المطلق[1].

السبب السابع : الإسلام سفينة النجاة:

الإسلام هو آخر الشرائع السماوية المنزلة من عند الله عز وجل، فكل رسول بعثه الله تعالى كان يأتي مصدقاً للرسول الذي قبله، ومبشراً بالرسول الذي يأتي بعده، وكان آخر رسول بعثه الله إلى بني إسرائيل هو عيسى بن مريم عليه السلام، فكان مصدقاً لما جاء به موسى ومبشراً بالرسول الذي سيأتي من بعده، وهو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

واقتضت حكمة الله تعالى أن تكون بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة حتى قيام الساعة، فلا نبي بعده.

وشريعة الإسلام ناسخة للشرائع السابقة، اليهودية والنصرانية، كما إن القرآن الكريم ناسخ لما قبله من الكتب، كالتوارة والإنجيل.

وعليه فلا يُقبل من أحدٍ، أن يتعبد الله باليهودية، أو النصرانية، أو أي ملة أخرى سوى شريعة الإسلام.

ولا يُقبل من أحدٍ أن يتعبد الله بقراءة التوراة أو الإنجيل، لأنها منسوخة بالقرآن العظيم.

---

(1) الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر، دار الرشيد للنشر، بغداد، ط الأولى، 1981م، (ج1/ 409).

روى الشعبي عن جابر أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقال: يا رسول الله! إني أصبت كتاباً من بعض أهل الكتاب.

قال: فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، فوالذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء، فيخبركم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني[1].

فلا كتاب متعبد بتلاوته إلا كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الملك جبريل المعجز، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر، ألا وهو القرآن الكريم.

إن الدين عند الله الإسلام:

كانت البعثة المحمدية هي الرحمة المهداة للبشرية، وهي النور الذي أنار ظلمات الجهل والشرك عن ظهر الأرض، فبالإسلام سعدت البشرية، فعاشت بنور الوحي ونور العلم، وفي ظلال العدالة الإسلامية، وبكنف رحمة الإسلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[2]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]

(1) مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى، 1409هـ، كتاب الأدب، باب من كره النظر في كتب أهل الكتاب، حديث رقم (26421).

(2) سورة آل عمران، الآية (19).

(1) سورة آل عمران، الآية (85).

لا نجاة إلا بالإسلام:

استمع إلى قول الحق عز وجل وهو يتكلم على لسان نوح عليه السلام، عندما دعا على قومه بعد أن كفروا بالله، وأبو أن يسلموا ويتبعوا نوحاً، أمره الله بصناعة الفلك، وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، من الحيوان والطيور، ويركب هو، ومن آمن معه، وما آمن معه إلا قليل.

فأنزل الله عقابه على قوم نوح، ففتحت أبواب السماء بماء منهمر، وتفجرت الأنهار عيوناً، فالتقى الماء على أمر قد قُدر، وارتفع الموج فأصبح كالجبال الشاهقة.

وفي هذا الجو المرعب، والأمواج العاتية، والرياح المزمجرة، ونوح ومن آمن معه بالسفينة، والأرض تموج بغضب الطبيعة، التي غضبت لغضب ربها.

يرى نوح ابنه وهو في معزلٍ،

فقال نوح لابنه، وهو مشفق عليه: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

فقال الابن الضال بكل عناد: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[2]

فقال تعالى عن مصير هذا الابن الكافر: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[1]

فهل تحبون أيها الأوروبيون أن تلقوا مصير هذا الابن العاق؟

(1) سورة هود، الآية (42).
(2) سورة هود، الآية (43).
(1) سورة هود، الآية (43).

الإسلام سفينة النجاة، وها نحن ندعوكم بدعاية الإسلام، قبل فوات الأوان، فاستجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم.

وإننا نقول لكم قول الحق تعالى:

﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(1)

﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾(2)

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (**41**) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾(3)

فإن أبيتم:

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(4)

وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به، إلا كان من أصحاب النار)(1).

---

(1) سورة غافر، الآية (38).

(2) سورة غافر، الآية (30).

(3) سورة غافر، الآيات (41 – 42).

(4) سورة غافر، الآية (44).

(1) صحيح مسلم؛ كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ونسخ الملل بملته حديث رقم (153).

جهنم الخطر المنسي:

فما هي النار أجارنا الله منها ومن عذابها.

فإن سأل سائل: ما هو حجم النار التي سيدخلها الكفار يوم القيامة؟

الإجابة في قوله تعالى:

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[1]

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زِمام[2]، مع كل زِمام سبعون ألف ملكٍ يجرونها " [3].

أما الملائكة:

فقد وصفهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال:

(إذن لي أن أُحدث عن ملك من ملائكة الله، من حملة العرش، إنّ ما بين أُذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام)[4].

فإن سألت عن شدة حرها،

فقد جاء في الحديث : (أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة، حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة)[5]. فإن سأل سائل عن عمقها.

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

(1) سورة الفجر، الآية (23).

(2) الزمام، بكسر الزاي، ما يُجعل في أنف البعير يُشد عليه، المقود (انظر دليل الفالحين، شرح رياض الصالحين، (ج4 / 290) وانظر كذلك تحفة الأحوذي، (ج7 / 249).

(3) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة، باب في شدة حرة جنهم، وبُعد قعرها، حديث رقم (2842).

(4) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، حديث رقم (4727).

(5) جامع الترمذي، صفة جهنم، حديث رقم (2591) قال الترمذي: الصواب أنه موقوف على أبي هريرة.

كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إذا سمع وجبة[1]،

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): تدرون ما هذا؟

قال: قلنا الله ورسوله أعلم.

قال: هذا حجر رمى به في النار، منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها)[2].

ما مصير من يُلقى في النار؟

قال تعالى: ﴿وإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[3]

ما هي ثياب أهل النار؟

قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (20) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[4]

ما هو طعام أهل النار؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (43) طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45)

(1) وجبة: سقوط الشيء ووقوعه،(انظر: معجم مقاييس اللغة)، ابن فارس، (ج90/6) باب (وجب).

(2) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة، باب في شدة حرة جنهم، وبُعد قعرها، حديث رقم (2844).

(3) سورة النساء، الآية (56).

(4) سورة الحج، الآيات (19 – 21).

كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (46) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (62) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (66) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾[2]

وقال تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾[3]

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿غِسْلِينٍ﴾ هو شر طعام أهل النار

وقال الضحاك: هو شجر في جهنم[4].

وماذا عن شرابهم؟

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[5]وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[6]

ماذا يطلب أهل النار من خازنها؟

قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[7]

قال ابن كثير: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ هو خازن النار.

---

(1) سورة الدخان، الآيات (43 - 48).
(2) سورة الصافات، الآيات (62 - 67).
(3) سورة الحاقة، الآية (36).
(4) تفسير ابن كثير، (ج532/4).
(5) سورة الكهف، الآية (29).
(6) سورة محمد، الآية (15).
(7) سورة الزخرف، الآية (77).

﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي ليقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه.

فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾.

قال ابن عباس: مكث ألف سنة، ثم قال: ﴿ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[1].

ما هي أمنية أهل النار؟

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (49) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[2]

قال العلامة ابن كثير: لما علموا أن الله تعالى لا يستجيب منهم، ولا يسمع لدعائهم، بل قد قال: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[3]

سألوا الخزنة – وهم كالبوابين – لأهل النار، أن يدعو لهم الله أن يخفف عن الكافرين، ولو يوماً واحداً من العذاب.

فقالت لهم الخزنة رادين عليهم:﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾[4] أي: أوما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل؟ ﴿قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا﴾ أي أنتم لأنفسكم، فنحن لا ندعوا لكم، ولا نسمع منكم، ولا نود خلاصكم، ونحن منكم براء، ثم نخبركم أنه سواء دعوتم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم، ولا يخفف عنكم، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: إلا من ذهاب، لا يُتقبل ولا يُستجاب[5].

---

(1) تفسير ابن كثير، (ج4/241).
(2) سورة غافر، الآية (49 – 50).
(3) سورة المؤمنون، الآية (108).
(4) سورة غافر، الآية (50).
(5) تفسير ابن كثير، (ج4/ 149).

هل يقبل الله من الكافر فدية للخلاص من النار؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[1]

قال ابن كثير: ويقتضي ذلك ألا ينقذه من عذاب الله شيء ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهباً، ولو افتدى نفسه من الله، بملء الأرض ذهباً، بوزن جبالها وتلالها، وترابها، ورحالها، وسهلها، ووعرها، وبرها، وبحرها[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(يقول الله تعالى لأهون أهل الأرض عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟

فيقول: نعم،

فيقول: أردت منك أهون من هذا، وأنت في صلب آدم: أن لا تُشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك[3].

فالنجاة النجاة...

ولا نجاة إلا بالإسلام.

---

(1) سورة آل عمران، الآية (91).

(2) تفسير ابن كثير، (ج1 / 569).

(3) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم (6557).

الفصل الرابع:

الوسائل الحديثة لنشر الإسلام في أوروبا

الوسائل الحديثة لنشر الإسلام في أوروبا

مقدمة:

الداعي الأول إلى الله عز وجل هو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[1]

وقد ظل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى ربه تبارك وتعالى، حتى أتاه اليقين، وصار إلى جواره الكريم، راضياً مرضياً، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء.

ولقد كرم الله الأمة الإسلامية وشرفها بأن أشركها مع رسوله في وظيفة الدعوة إليه، وهذا يظهر في العديد من الآيات القرآنية، ومنها:

قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[2]

هذه الآية أفادت معنيين:

الأول: خيرية هذه الأمة.

الثاني: أنها حازت على هذه الخيرية لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وظيفة رسول الله، ورسل الله جميعاً.

والمكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة، لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية مكلف بهذا الواجب، ذكراً كانَ أو أنثى، فلا يختص العلماء بأصل هذا الواجب، لأنه واجب على الجميع، وإنما

(1) سورة الأحزاب، الآيات (45 - 46).

(2) سورة آل عمران، الآية (102).

يختصون بتبليغ تفاصيله، وأحكامه نظراً لسعة علمهم به، ومعرفتهم بجزئياته.

ويزيد الأمر وضوحاً، وهو أن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة.

قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]

فأتباع النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنون به، وبرسالته، يدعون إلى الله أيضاً على بصيرة، أي علم ومعرفة ويقين، كما كان رسولهم صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله على بصيرة ويقين، ومعنى ذلك أن من اللوازم الضرورية للإيمان أن يدعو المسلم إلى الله.

فإذا تخلف المسلم عن الدعوة إلى الله دل تخلفه على نقص في إيمانه، وجب تداركه بالقيام لهذا الواجب العظيم.

قال العلامة ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة، من ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي[3].

(1) سورة يوسف، الآية (108).

(2) سورة يوسف، الآية (108).

(3) تفسير ابن كثير، (ج196/2).

وسائل نشر الإسلام في أوروبا

لا بد للمسلمين أن يقوموا بشرف الدعوة إلى الله في مشارق الأرض ومغاربها، وخاصة جارتنا القارة العجوز، (القارة الأوروبية) لقربها منا، وحاجتها الماسة، كغيرها من أمم الأرض، إلى الإسلام وهذه الوسائل نقترح أن تكون على الأوجه التالية:

الوسيلة الأولى

تكثيف زيارة الجماعات الدعوية المؤهلة علمياً وأخلاقياً وشرعياً إلى الدول الأوروبية، والعمل بشكل ممنهج لنشر الإسلام:

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]

والواقع أن تجمع الدعاة للقيام بواجب الدعوة بصورة جماعية يكون ضرورياً كلما كانت مهمة الدعوة جسيمة، كما لو أريد نشر الدعوة إلى الله في المجتمعات الكتابية (أهل الكتاب هم اليهود والنصارى) أو المجتمعات الوثنية الجاهلية التي عشعش فيها الشيطان وفرخ ، وصد أهلها عن سبيل الله، وأركسهم في حمأة الشرك.

فإن هذه الأقطار تحتاج إلى جهود كبيرة جداً ومنظمة لنشر الدعوة إلى الله وتعليمهم أمور الإسلام، مما لا يقوى عليه جهد فرد، ولا جهود مبعثرة لبعض الأفراد.

ويؤيد هذا التبشير بالإسلام على شكل جمعي، ما جاء في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر من يُسلم بالتحول إلى دار الهجرة،

---

(1) سورة آل عمران، الآية (104).

ليضم جهده إلى جهود المسلمين، وتوجيهها التوجيه السليم من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

كما أننا نجد في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[2] دليلاً آخر على مشروعية التجمع والدعوة الجماعية، بل ووجوبها إذا كان البر لا يمكن تحصيله بدون ذلك.

الجماعات الدعوية وما يحتاجونه من عُدّة:

ذكرنا أن وظيفة الداعية إلى الله هي أشرف وظيفة، وأن له في الإسلام مكانة عظيمة جداً، فقوله في الدعوة إلى الله أحسن الأقوال، في ميزان الله، وهو أصدق الموازين.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[3]

وهذه الآية عامة فيمن دعا إلى الله، وهو في نفسه مهتد يعمل الخير، ويؤدي الفرائض ويجتنب المحارم، إن كلمته في الدعوة إلى الله، خاصة عند شيوع الكفر هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وصاحبها بهذه الصفة من الصلاح في نفسه مع استسلامه لله رب العالمين.

ولما كانت وظيفة الداعية إلى الله بهذه الأهمية، فإنه يحتاج إلى عُدة قوية لينجح في مهمته، وهذه العدة هي:

---

(1) انظر أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1988م، (ص310).

(2) سورة المائدة، الآية (2).

(3) سورة فصلت، الآية (33).

أ- الفهم الدقيق.

ب- الإيمان العميق.

ت- الاتصال الوثيق بالله عز وجل.

هذه هي مقومات عُدة الداعي وأركانها، وإذا فقدها لم يغن عنها شيءٌ آخر، وإذا ضعفت معانيها في نفسه فعليه أن يقويها[1].

ولا بد من التعريف بهذه العُدة لأهميتها:

أ- الفهم الدقيق:

وفي هذا السياق ننطلق من مبدأ العلم قبل العمل وذلك لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[2]

فقدم الله تعالى العلم على العمل، وذلك ضروري ليعلم العامل ما يقصده من عمله، وما يعمل للوصول إليه، وإذا كان سبق العلم لأي عمل ضرورياً، فإنه للداعي إلى الله أشد ضرورة لأن ما يقوم به من الدين منسوب إلى رب العالمين.

فيجب أن يكون الداعي على بصيرة وعلم بما يدعو إليه وبشرعية ما يقوله ويفعله ويتركه فإذا فقد العلم المطلوب واللازم له كان جاهلاً بما يريده، ووقع في الخلط، والقول على الله ورسوله بغير علم.

فيكون ضرره أكثر من نفعه وإفساده أكثر من إصلاحه.

فيجب إذن لكل داعٍ إلى الله تعالى:

(1) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، مرجع سابق، (ص325).

(2) سورة محمد، الآية (19).

1- العلم بشرع الله.

2- العلم بالحلال والحرام.

3- العلم بما يجوز ومالا يجوز.

4- العلم وبما يسوغ فيه الاجتهاد ومالا يسوغ.

والعلم ما قام عليه الدليل الشرعي من كتاب الله، أو سنة رسوله، أو من أدلة الشرع الأخرى.

أما الفهم الدقيق:

وهو العلم العزيز النادر الذي يغفل عنه الكثيرون، حتى من حملة العلوم الشرعية، مع دلالة القرآن عليه، وتصريحه به، والدعوة إليه، وهو علم طريق الآخرة، الذي يُهيج القلوب ويدفعه إلى سلوكه، فيشعر صاحبه بغربته في الدنيا وقرب رحيله عنها إلى سفر بعيد، لا يرجع بعده إلى دنياه، ولا ينفع فيه زاد إلا التقوى.

والفهم الدقيق يقوم على تدبر معاني القرآن الكريم، قال الله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1]

وتلاوة القرآن بتدبر تعرّف الإنسان المسلم بالله الذي يدعو إليه، وتعرفه بالطريق الموصل إليه، وما للمستجيب لربه من الكرامة إذا قدم عليه.

وتعرفه بالمقابل على ثلاثة أخرى:

ما يدعو إليه الشيطان وحزبه، والطريق الموصلة إلى ذلك، وما للمستجيب لدعوة الشيطان من الإهانة والعذاب.

(1) سورة محمد، الآية (24).

إن هذه المعرفة ضرورية للداعي، إذ بها تجعله كأنه في الآخرة، وإن كان هو في الدنيا، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه الناس، فتريه الحق حقاً والباطل باطلاً، وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرق به بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه، فيصير هو في شأن والناس في شأن آخر[1].

ب)الإيمان العميق:

نريد بالإيمان العميق تيقن الداعي المسلم بأن الإسلام الذي هداه الله إليه حق خالص، وما عداه باطل وضلال قطعاً.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾[2]

وقال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾[3]

وهذا الإيمان العميق بأحقية الإسلام قائم على علم قطعي وبيِّنة راسخة لا شك فيها، لا يتزعزع مهما صادفته محنة، أو شدة، ومهما كانت حاله من ضعف وقلة، ومهما كان حال الكفرة من قوة ومنعة، وحتى لو بقي وحده في الأرض.

هكذا كان إيمان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أحوالهم، يوم كانوا في مكة محاصرين يعذبهم الكفرة، ويوم هاجروا فارين بدينهم إلى الحبشة.

ويوم هاجروا إلى المدينة ويوم انتصروا في بدر، وانكسروا في أُحد، وحوصروا في الخندق، إنهم في جميع تلك الأحوال التي تقلبوا فيها لم

(1) انظر مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، (ج1 / 452).

(2) سورة البقرة، الآية (120).

(3) سورة يونس، الآية (32).

يتزعزع إيمانهم، ولم يتسرب إلى قلوبهم ذرة من الشك في كونهم على الحق، موصولين بالحق، ويدعون إلى الحق.

وأن الكفار في ضلال مبين[1].

إن مثل هذا الإيمان العميق ضروري لكل مسلم، وللداعي أشد ضرورة في الوقت الحاضر الذي ضعفت فيه كلمة الإسلام، وعلت في كلمة الكفر، وازدادت محن المسلمين، وصال الكفرة عليهم وجالوا، وصارت لهم دول كبار تحميهم وتقذف بالباطل وتثير الشبهات والشكوك حول أحقية الإسلام.

وزاد من هذه المحنة وجود علماء السوء البائعين دينهم بدنياهم، ومع هذا فإن الداعي المسلم الصادق يجب ألا تدهشه هذه المحن، وهذه الأحوال، وأن لا يبقى مفتوح العينين محدقاً بالكفرة إعجاباً بهم، وإكباراً لهم، فإنهم والله على ضلال مبين، يحتاجون إلى تقويم وتهذيب وتأديب، لا إلى تعظيم وتفخيم[2].

ثمرات الإيمان ولوازمه:

إن لهذا الإيمان العميق ثمرات ولوازم لا بد منها، ويستحيل تخلفها، فإن تخلفت أو ضعفت كان هذا دليلاً قاطعاً على عدم وجود هذا النوع من الإيمان، أو ضحالته وضعفه.

(1) انظر أصول الدعوة ، مرجع سابق، ص (334).

(2) المرجع السابق، ص (335).

ومن هذه الثمرات:

أولاً: المحبة:

والمقصود هو محبة العبد لربه، ومحبة الرب لعبده، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه﴾[1] وهي من ثمرات الإيمان العميق قطعاً، بل هي روح الإيمان ولبه، لأن الإيمان يقوم على المعرفة اليقينية بالله عز وجل، ومن عرف ربه أحبه، وكلما قويت المعرفة ازداد عمق الإيمان وازدادت محبة العبد لربه.

لوازم محبة العبد لربه:

وهذه اللوازم مأخوذة من آيتين من كتاب الله تعالى:

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[2]وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[3]

فهذه اللوازم هي:

أ- أذلة على المؤمنين، فالمسلم رقيق القلب رحيم شفيق على أخيه المسلم، والداعي المسلم يستشعر هذه الرحمة والشفقة في دعوته.

ب-أعزة على الكافرين، لا يهين ولا يستكين، ولا يشعر بصغار أمامهم ولا في غيبتهم.

---

(1) سورة المائدة، الآية (54).

(2) سورة المائدة، الآية (54).

(3) سورة آل عمران، الآية (31).

ج- يجاهدون في سبيل الله: والجهاد في سبيل الله يعني جهاد النفس الدائم حتى تستقيم على طاعة الله، وجهاد العدو حتى يخنس وينكف ضرره.

د- لا يخافون لومة لائم: أي لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله والدعوة إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يمنعهم منه لومة اللائمين.

ه-متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في هديه، في جميع أحواله بالإضافة إلى طاعة أمره والابتعاد عما نهى عنه، فهو قدوة الداعي إلى الله، يقتدي به في سيرته وفي دعوته إلى الله خطوة خطوة[1].

ومن لوازم محبة الداعي المسلم لربه أمور أخرى، منها:

أ- الولع بذكره تعالى في كل حين، فلا يفتر عنه لسان الداعي، ولا يخلو منه قلبه، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره.

ب-الأُنس بمناجاة الله بالخلوة، فهو لا يستوحش منها، ولا يضيق بها، بل يستغلها فرصة لهذه المناسبة.

ج-يتنعم بطاعة الله، ولا يستثقلها فإن المحب يتلذذ بخدمة محبوبه، وينشط لها.

د- لا يأسف على ما يفوته من أمور الدنيا، ويعظم أسفه على ساعة خلت من ذكر الله وطاعته.

ه- يؤثر ما يحبه الله على ما يحبه هو في ظاهره وباطنه.

و-يحب لقاء الله، لأن المحب يحب لقاء الحبيب، وبالتالي فهو لا يكره الموت إذا جاءه، لأنه مفتاح اللقاء، وطريق الوصول إلى الله.

(1) أصول الدعوة، مرجع سابق، ص (338).

ز- الغضب لله، فلا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله، ولا يغضب لنفسه.

ثانياً: الخوف:

ومن ثمرات الإيمان العميق ولوازمه الخوف من الله، فإن رأس الحكمة مخافة الله، ومن عرف الله خافه، ومن خاف الله لم يخف أحداً من الناس، وخافه الناس.

والخوف من الله سببه علم المسلم بعقاب الله بسبب عصيانه، وعدم القيام بما أمر به جل جلاله، ويزداد هذا الخوف كلما فقه المسلم عِظم الجناية في مخالفة الرب تبارك وتعالى، وأنه لو أهلك العالمين لم يمنعه من ذلك مانع.

فإذا حصل عنده هذا الإيمان العميق بأثر الذنوب ودقة الحساب، وتفرد الله بالحكم يوم الحساب ومجهولية الخاتمة، انبعث في القلب الخشية من الله جل جلالة، والخوف أثره القطعي فإن من خاف من شيء هرب منه والذنوب والمعاصي عقارب وحيات مؤذيات ومحرقات، لا بد أن يفر منها كل خائف من الله[1].

ثالثاً: الرجاء:

ومن ثمرات الإيمان العميق الرجاء،

وحقيقة الرجاء: ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب للنفس، عند حصول أكثر أسبابه، فرجاء رحمة الله وتأييده ورضوانه يكون بتحصيل

(1) أصول الدعوة، مرجع سابق، ص (340).

أسباب ذلك التي أخبرنا بها القرآن الكريم، ووعد عليها بالرحمة والتأييد، والنصر والرضوان[1].

ج)الاتصال الوثيق:

معنى الاتصال الوثيق تعلق الداعي المسلم بربه، وتوكله عليه في جميع أموره، لتيقنه بأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير والضرر والنفع والعطاء، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله تعالى يكفي من يتوكل عليه، ويفوض الأمور إليه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[2]

لا سيما من يتوكل عليه في أمور الدعوة إلى الله، ونصرته وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، قال تعالى حكاية عن موسى وهارون: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[3]

وهذه المعية وهي معية النصر والتأييد غير مقصورة على أنبيائه ورسله المتوكلين عليه في تبليغ رسالاته، وإنما هي شاملة لعباده المتقين لا سيما الدعاة منهم إلى دينه. قال: تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[4].

وإذا استحضر الداعية إلى الله ما يعلمه ويؤمن به من أنّ الخلق لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً، وأن الأمور كلها بيد الله القوي العزيز، ازداد اتصاله بالله عز وجل، كما إن استحضار هذه المعاني الإيمانية في

(1) أصول الدعوة، مرجع سابق، ص (341) بتصرف.
(2) سورة الطلاق، الآية (3).
(3) سورة طه، الآية (45 – 46).
(4) سورة النحل، الآية (128).

قلبه تؤدي حتماً إلى زهده في الاعتماد على أي مخلوق، ويتوجه بكليته إلى الله عز وجل خالقه ومولاه، وناصره، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾[1].

ومع اعتماد الداعية على الله في جميع أموره فإنه يثق بربه ثقة مطلقة، بأنه يحفظه وينصره ويدفع عنه الشرور، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[3].

ولا ينبغي للداعية إلى الله أن يحدد وقتاً لله لإنزال نصره، وإعانته على أعدائه، ولا نوعاً معيناً لهذا النصر، أو كيفية محددة لهذا العون، لأن الله تعالى ينزل نصره متى شاء وكيف شاء، وعلى من شاء، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[4].

وما دام الداعية إلى الله ينصر الله، أي ينصر دينه بالدعوة إليه، فإن الله تعالى ناصره، قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[5].

فعلى الداعية أن يتيقن ذلك، ولا يشك فيه أبداً.

---

(1) سورة آل عمران، الآية (150).

(2) سورة الحج، الآية (38).

(3) سورة الصافات، الآية 171 - 172).

(4) سورة غافر، الآية (51).

(5) سورة الحج، الآية (40).

كما أن الاتصال الوثيق يفرض على الداعية إلى الله أن لا ييأس أبداً لأن اليأس حرامٌ أن يتسرب إلى القلب الموصول بالله، وإنما يدخل قلوب الكافرين، المنقطعة صلتهم بالله تعالى،

قال تعالى:

﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

إن هذا الاتصال بالله عز وجل يعتبر الركن الركين في حياة الداعية المسلم، ففيه تهون عليه الصعاب، وتخف الآلام، وينتزع من قلبه الخشية من الناس، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[2].

وبهذا الاتصال الوثيق يحس الداعية إلى الله المسلم بعزة الإيمان، لأنه موصول بالقوي العزيز، قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]. فلا يعظم في عينه باطل ولا ضال، لأن الباطل وأهله إلى زوال، قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾[4].

(1) سورة يوسف، الآية (87).
(2) سورة آل عمران، الآية (173).
(3) سورة المنافقون، الآية (8).
(4) سورة الرعد، الآية (17).

الوسيلة الثانية: الفضائيات الإسلامية:

وذلك لما للإعلام من أهمية، ولا سيما الإعلام المرئي في هذا العصر، وانتشاره بشكل واسع، لذلك لا بد من إنشاء فضائية إعلامية إسلامية يقوم على إدارتها علماء في الشريعة الإسلامية، تبث حقائق الدين الإسلامي؛ عقيدة وشريعة وارتباط الشريعة الإسلامية بما قبلها من الشرائع، وذلك على مدار الساعة، وباللغات الأوروبية المختلفة، كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، وغيرها.

ويفضل استضافة رجال الدين النصارى الذين أسلموا ليتكلموا عن سبب إسلامهم، ويشرحوا حقائق ما وجدوه في الإسلام، وكيف انتقلوا من الظلمات إلى النور، وكيف سكنت نفوسهم بعد إسلامهم، وأشرقت أرواحهم بنور الإسلام ونور القرآن، قال تعالى:

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

والواقع أن مثل هذه الفضائيات في غاية الأهمية لهداية البشرية إلى دين الله، ومع كثرة الفضائيات وتنوعها إلا أنه لا يوجد مع الأسف الشديد قناة واحدة تقوم بهذا العمل الدعوي العظيم، هذا مع العلم أنه يوجد قنوات فضائية إسلامية دعوية، ولكنها باللغة العربية، فنحن في الوطن العربي نخاطب أنفسنا، ونكتب لأنفسنا، ونؤلف المؤلفات لأنفسنا، لذلك لا بد من نهضة فكرية دينية شاملة، حتى تتمكن الحضارة الإسلامية من مخاطبة الحضارة الغربية، وحتى تتمكن هذه الحضارة العظيمة من التأثير على غيرها من

(1) سورة الأنعام، الآية (122).

الأمم والحضارات الأخرى، ولا سيما الحضارة الأوروبية، لذلك وجب العمل على إيجاد قناة فضائية إسلامية دعوية، تبث باللغات الأجنبية فقط.

وأريد أن أشير هنا أن هناك قناة فضائية ناجحة هي قناة (وصال) الفضائية والتي تبث من الشقيقة العربية السعودية، باللغة الفارسية لشرح عقيدة أهل السنة والجماعة، وبيان غلو الرافضة في مذهبهم،

وهذا يعتبر جهد مبارك وعظيم، وكم نحن بحاجة إلى فضائية إسلامية مشابهة تستهدف القارة الأوروبية، لما لهذه القارة من تأثير على الأمة الإسلامية طمعاً في إسلامها، وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم ربه أن يعز الإسلام بأحد العمرين.

ويفضل في الفضائية المرجو إنشاؤها أن يكون من برنامجها الدعوي برامج حوارية مع المواطنين في الدول الأوروبية، للإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم، حول العقيدة الإسلامية والشريعة بشكل عام، وأن تطرح حقائق الإسلام وبيان وسطيته ورسالته السمحة.

وأن يتحلى القائمون على هذه البرامج بسعة العلم وحسن الخلق، ورد السيئة بالحسنة، مهما كانت ردود الجمهور المستهدف بالرسالة الإعلامية، وإن تجنّى بعضهم على الإسلام وأهله،

وليكن شعار هؤلاء الإعلاميين:

(لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم) [1].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم (2406).

الوسيلة الثالثة:المطبوعات الإسلامية المكتوبة باللغات الأوروبية:

وهذه الوسيلة في غاية الأهمية، لأن الكلمة المطبوعة لها تأثير ولو بعد حين، وكذلك لسهولة انتشارها، وإمكانية الاحتفاظ بها لفترات طويلة والرجوع إليها وقراءتها عند الحاجة.

وهذه المطبوعات تشمل:

1) طباعة الترجمة التفسيرية للقرآن الكريم، باللغات الأوروبية كافة، وتيسير وصولها إلى هذه الدول وأن تكون متاحة لكل مواطن في تلك البلدان، وبيان مكان وجودها وإرسال نسخ منها إلى عنوان من يرغب في الحصول عليها، ويكون ذلك عن طريق الفضائية الإسلامية المشار إليها آنفاً.

2) طباعة كتب السنن باللغات الأوروبية المختلفة، كصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وكتب الحديث المفيدة الأخرى، كرياض الصالحين، وكذلك كتب ابن القيم الجوزية وغيرها. وتوفير هذه الكتب في المساجد والمراكز الإسلامية في الدول الأوروبية كافة.

3) طباعة المطويات الإسلامية باللغات الأوروبية.

وهذه المطويات خفيفة الحمل، واضحة الطباعة، زاهية الألوان، وفيها تعريف بالدين الإسلامي وأركانه، تركز على موضوع العقيدة كوحدانية الله عز وجل وقدرته، وعلمه الشامل وإرداته وإحيائه وإماتته، وتفرده بملك السموات والأرض، وتنزهه عن الزوجة والولد، تعالى الله عن ذلك ، وتنزيهه عن أي نقص ، أو عن أي مشابهة لخلقه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأيضاً هذه المطويات لا بد أن تستهدف الفئات المثقفة في المجتمعات الأوروبية، كالأطباء والمهندسين والمحامين، وأن توزع بطريقة ذكية وعفوية.

وفائدة هذه المطويات أنها تقدم معلومات وحقائق عن الإسلام لا يعرفها أهل الغرب، وهم بحاجة ماسة لمعرفة من هو الله، وما هو الإسلام، ومن هو رسول الإسلام، صلى الله عليه وسلم.

وهذه المطبوعات سهلة الحمل، سهلة التوزيع، سهلة الاحتفاظ بها، وتؤدي فائدة عظيمة، ويمكن أن تُقرأ في أي وقت، وفي أي مكان في الطائرة وفي البيت، في الحافلة، في القطار، وتؤتي أكلها ولو بعد حين.

الوسيلة الرابعة: التجار المسلمون الدعاة:

من الوسائل الفعالة في نشر الإسلام التجار المسلمون (الدعاة) وهذا القيد الأخير (الدعاة) لا بد منه، فما أكثر التجار الذين يزورون الدول الأوروبية للتجارة فقط، أما الدعوة فليس لها مكان في حياتهم!

والتجار المسلمون (الدعاة) لا بد أن يقوموا بدورهم في الدعوة إلى الله عز وجل جنباً إلى جنب مع هذه التجارة، والدعوة بالنسبة لهؤلاء التجار يجب أن تكون بلسان الحال، وبلسان المقال، بل إن دعوتهم بلسان الحال هي أقوى تأثيراً منها بلسان المقال.

والمقصود أن تكون دعوتهم بلسان الحال، أي أن يكون التاجر صادقاً في قوله وفي عمله، مثالاً للنزاهة والعفة في تجارته، بعيداً عن الغش في التجارة، وفي تعامله مع غيره، حسن الخلق، بعيداً عن العادات السيئة كالتدخين ولعب النرد، أو لعب الشدة (البوكر) هذا فضلاً عن بعده من المحرمات والكبائر أو أماكن وجودها.

أما دعوته بلسان المقال فعليه أن يدعو من يثق به من تجار الغرب الذين يتعامل معهم يدعوهم إلى الله، وإلى معرفة الإسلام، وإلى الدخول في هذا الدين العظيم.

وعندما يجدون أقواله تصدق أعماله، فسيكون هذا سبباً قوياً لدخولهم في الإسلام، أو للتفكير في ذلك على أقل تقدير.

ذكرنا أن هذا الدور الدعوي يقع على عاتق التجار المسلمين (الدعاة) فلا يكفي أن تكون أيها التاجر مسلماً، أو أيها المسلم تاجراً، فما أكثر هذا النوع من التجار، ولكن فائدتهم للدعوة معدومة!

التجار المسلمون (الدعاة) هم ركن أساسي في حمل الدعوة إلى مشارق الأرض ومغاربها، فعلى أيدي أسلافهم فتحت بلاد بدون قتال، كأندونيسيا، وماليزيا، التي انتشر فيها الإسلام على يد التجار المسلمين (الدعاة) وكذلك انتشر الإسلام في وسط وجنوب أفريقيا على أيديهم.

والواقع أن فئة (التجار) في البلاد الإسلامية تستطيع أن تقوم بدور كبير في نشر الإسلام في الدول الأوروبية، لو أنها علمت واجبها في الدعوة إلى الله، ومن هنا يقع على عاتق العلماء والدعاة إلى الله التركيز على هذه الفئة في المجتمع في خطب الجمعة والدروس الأسبوعية، والندوات المتلفزة، وكافة المنابر المتوفرة من أجل إصلاح هذه الفئة المهمة جداً وتقوية الوازع الديني لديها، وربط هذه الفئة بالله، وبيان المهمة الجلل، المناطة بهم، وتقوية الإيمان لدى تجار الأمة من أجل القيام بواجبهم في نصرة الإسلام، ونصرة دين الله بأنفسهم، وأموالهم، وعلى رأس هذه النصرة نصرة الدعوة إلى الله عز وجل.

وأن عليهم الحذر الشديد من اتباع خطوات الشيطان، وجعل السفر إلى هذه البلدان لإضاعة الوقت في اللهو المحرم، وإضاعة المال على توافه الأمور فضلاً عن نفقتها فيما حرم الله، فالله مطلع عليكم، يراكم حيثما كنتم.

الوسيلة الخامسة: تقديم الحوافز المادية والمعنوية لمن يعتنق الإسلام:

وليس المقصود بهذا أن نقول أنه من دخل في الإسلام فله عشرة آلاف دينار مثلاً، وإن كان هذا أمراً محموداً.

ولكن المقصود أن الأخوة الذين اقتنعوا بالإسلام، وعلموا أن الإسلام هو الدين الحق، فشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

فهؤلاء عادةً عندما يدخلون في الإسلام فإن أهلهم وذويهم يحرمونهم من الميراث، ومن كافة حقوقهم المادية، وذلك نوعٌ من العقوبة لهم، فيأتون إلى الإسلام وهم لا يملكون درهماً ولا ديناراً.

فحرصاً على كرامتهم وعدم سؤالهم للناس، وجب تقديم راتبا شهريا منتظما لكل فرد يدخل في الإسلام، يؤمن له المتطلبات الرئيسية لحياة كريمة.

وهذه الوسيلة أقرها الإسلام، فالله تعالى جعل سهماً من مال الزكاة للمؤلفة قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1] .

---

(1) سورة البقرة، الآية (122).

والرسول صلى الله عليه وسلم في أعقاب غزوة حنين قام بتوزيع الغنائم على المؤلفة قلوبهم ممن أسلم حديثاً من أهل مكة، بينما أوكل المهاجرين والأنصار إلى إيمانهم.

الفصل الخامس:

دلائل اعتناق أوروبا للإسلام من خلال القرآن والسنة

وهذا الفصل ينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول:

دلائل انتصار الإسلام وانتشاره في العالم من خلال القرآن الكريم

المبحث الثاني:

دلائل اعتناق أوروبا للإسلام من خلال الأحاديث النبوية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دلائل انتصار الإسلام وانتشاره في العالم.

المطلب الثاني: دلائل انتشار الإسلام في أوروبا.

المبحث الأول: دلائل انتصار الإسلام وانتشاره في العالم من خلال القرآن الكريم.

في هذا المبحث : دلائل انتصار الإسلام وانتشاره في العالم

إن الناظر في القران الكريم يجدالله تعالى قد ذكر في القران العظيم إشارات ودلالات على أن الإسلام سيسود العالم من بعد ضعف، وسيكون له النصر والتمكين والمنعة، بعد أن كان للأنظمة الأرضية العلمانية والقهرية والاستبدادية السيادة والسلطان والطغيان في الأرض، والتي بسببها انتشر الظلم والجور والاستبداد، وسادت الفوضى، وطمست الفضيلة، وأصبح للرذيلة مناهج وقوانين يقتدى بها ، وتطبق على البشر بشكل ممنهج ، كنظام حياة ، تحت قوة البطش والقهر والاستبداد.

فقد أخبر الله تعالى في أكثر من موضع من كتابه العزيز عن ظهور الإسلام وعودته وسيادته، وأنه سيملأ به الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً وبغيا.

وعلى كل مسلم أن يعلم_في هذا السياق_ أن القرآن جملة دال دلالة قاطعة لا لبس فيها على تمكين الإسلام وغلبته على سائر الملل والمذاهب والشرائع، ولقد أردنا هنا أن نذكر بعض الآيات مع بيان تفسيرها، ليكون هذا إقراراً منا واعترافاً بوعد الله على تحقيق ما سيكون بإذنه ومشيئته،والله تعالى لا يخلف الميعاد،ومن هذه الآيات :

1- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا

بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[1]، وقد تحقق ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، وسيتحقق للطائفة المنصورة التي ستسير على نهجهم بإذنه تعالى، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، وإنما ذكر الله تعالى المعابد وأماكن العبادة دلالة على التوقيت الزمني التي عاشتها الأمم فيما مضى، وختمها بالمساجد، والمساجد لا تكون إلاَّ للمسلمين، وهي الأماكن التي يتعبدون الله فيها، وهذا دليل قرآني مبارك على سيادة الإسلام وعودته بإذنه تعالى، فبقاؤهم ببقاء المساجد، والمساجد آخر العهد مع هذه الدنيا، وهذه الزيادة اليوم في عدد المساجد في أنحاء العالم، ولاسيما الدول الأوربية التي لا تدين بالإسلام، لأمر يدعو إلى الفرح والسرور، وأن من مميزاته أنه ينتشر بسرعة وأن أتباعه عاملون له باستمرار، لا يكلون ولا يملون.

واليوم نجد بعض الدول الأوربية أخذت تحارب بناء المساجد في دولهم منعاً من انتشار الإسلام، فخرج المسلمون على شكل تظاهرات تندد بتلك الإجراءات اليائسة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن دين الله أخذ ينتشر بين الأوربيين بشكل كبير.

قال سيد قطب: (فوعد الله المؤكد الوثيق المتحقق الذي لا يتخلف، هو أن ينصر من ينصره.. فمن هؤلاء الذين ينصرون الله، فيستحقون نصر الله، القوي العزيز الذي لا يهزم من يتولاه إنهم هؤلاء الذين إن مكناهم في الأرض فحققنا لهم النصر، وثبتنا لهم الأمر)[2].

---

(1) سورة الحج، الآيات(39 – 40).

(2) الظلال: ج5 ص606.

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[1].

قال ابن كثير: (إنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس)[2]، وكنتم: تفيد الاستمرار والدوام والتمام، قال الطبري: (كنتم بمعنى التمام، كأن تأويله خلقتم خير أمة، أو وجدتم خير أمة، كان معنى صحيحاً)[3]، وهذه الأمة حتى تكون خير الأمم عليها أن تحقق شرطيها كما أرادها الله لها، وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان المطلق بالله عز وجل.

قال محمد رشيد رضا: (والحق أقول: إن هذه الأمة ما فتئت خير أمة أخرجت للناس، حتى تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: وقد بين الفخر الرازي كون وصف الأمة هنا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان علة لكونها خير أمة أخرجت للناس، فقال: وأعلم أن هذا الكلام مستأنف، والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية، كما تقول: زيد كريم، يطعم الناس ويكسوهم، ويقوم بما يصلحهم)[4].

وقال ابن النحاس: (وعلى قول مجاهد: كنتم خير أمة إذ كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وقيل: إنما صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة، لأن المسلمين منهم أكثروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى)[5].

---

(1) سورة آل عمران: الآية (110).

(2) تفسير ابن كثير: 391/1.

(3) تفسير الطبري: 45/4.

(4) الوسطية: 71.

(5) إعراب القرآن: 175/1.

وقد وردت عدة أحاديث تشير إلى خيرية هذه الأمة، وأنها مستمرة بالعطاء والخيرية حتى قيام الساعة، حيث سيبقى فيها دعاة وعلماء ربانيون مخلصون يعملون بهذه الشروط الثلاثة، وما أن يذهب واحد منهم حتى يخلفه آخر، وهكذا تستمر الخيرية لها، فقد روى الترمذي في تفسير هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ)[1].

والخيرية سمة هذه الأمة وصفتها على الدوام، فهي – أي الخيرية – تكريم من الله لها، كما في حديث الإمام أحمد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ)، فقلنا: يا رسول الله ما هو؟ فقال: (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُوراً، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الأُمَمِ)[2].

قال سيد قطب: (وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة، لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة، بما أنها هي خير أمة، والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض، ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية، إنما ينبغي دائماً أن تعطي هذه الأمم مما لديها، وأن يكون لديها دائماً ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح، والتصور الصحيح، والنظام الصحيح، والخلق

---

(1) سنن الترمذي: 211/5 برقم (3001) وقال: هذا حديث حسن، ووافقه الألباني كما في المشكاة برقم (6285).

(2) مسند أحمد: 98/1 و 158، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: 265/1 و 266: وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو سيء الحفظ، قال الترمذي: صدق، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه، وسمعت محمد بن إسماعيل (البخاري) يقول: كـــان أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم، والحميدي يحتجون بحديث ابن عقيل، قلت: فالحديث حسن، والله أعلم. ينظر: الوسطية للصلابي: 72.

الصحيح، والمعرفة الصحيحة، والعلم الصحيح، هذا واجبها الذي يحتمه عليها مكانها)[1].

فخيريتها تتمثل[2]: بإيمانها بالله عز وجل، وأنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وكونها خير الأمم للناس وأنفعها لهم، وكونها أكثر الناس استجابة للأنبياء، وكونها لا تجتمع على ضلالة، وكون الكتاب الذي أنزل عليها خير الكتب السماوية من حيث أنه أحسن الحديث، وأنه الكتاب السماوي الوحيد الذي تكفل الله بحفظه وصيانته من الزيادة والنقصان ومن التحريف والتبديل، وأنه الكتاب المهيمن على الكتب التي قبله، وأنه الكتاب الوحيد الذي تحدى الله البشر بأن يأتوا بسورة من مثله، وكون نبيها أفضل الأنبياء والرسل، وأن الله ختم به الأديان ونسخها، فلا يعبد الله إلاَّ به، وتقديمها على الأمم في الحشر والحساب يوم القيامة ودخولها الجنة مع كونها آخر الأمم، وكونها أكثر أهل الجنة.

وهذه الآية تدل على عودة الإسلام وسيادته وظهوره من حيث أن خيريتها تفيد الاستمرار، ولا يعدمها الله سبحانه وتعالى هذه الخيرية، فهي أمة العطاء المستمر الذي لا ينضب ولا ينقطع، وفي المقابل نجد أن الأمم الأخرى يسودها الفساد والطغيان وتفشي الرذيلة، وحتى سلاحها الذي تنتجه ففيه البلاء الكبير على البشرية برمتها رغم تقدمها في الصناعات وتطورها التكنولوجي إلاَّ أنها لا تعطي الغذاء الروحاني والفضيلة والأخلاق، وبالأمس القريب دخل الإسلام حاخام يهودي هو وعائلته في تركيا، ولما سئل عن سبب دخوله الإسلام؟

---

(1) الظلال: 32/2.

(2) الوسطية للصلابي: 72 وما بعدها.

أجاب: بأنه فتش الأديان جميعاً وأمعن فيها ملياً فلم يجد مثل الإسلام دين رحمة وسلام ووئام، ولم يجد ديناً مثله شمل الناس جميعاً، ويقول: لقد سئمت دين اليهودية، فلم أجد فيه من الغذاء الروحاني ما ينقذني من الاضطراب النفسي الذي علق بي لفترة طويلة، ولم أجد ذلك إلاَّ في الإسلام فأسلمت وأعلنت إسلامي أنا وعائلتي.

2- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيهِمْ شَهِيداً﴾[1].

قال ابن كثير: (أي أمارة ودليل على اقتراب الساعة، وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه كما ثبت ذلك في الصحيح، (أنَّ اللهَ لمْ يَخْلُقْ دَاءً إلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفاءً)[2]، ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله تعالى ببركة دعائه)[3].

ففي هذه الآية دلالة على أن الإسلام سيحكم مجدداً ويعم الأرض جميعاً بخيره وبركته، فيهلك الطغاة وأصحاب المناهج الضالة المنحرفة، ويسود العدل والحق، ويكون قتل الدجال على أيدي تلك الثلة المباركة التي ستحكم بالإسلام، والتي ستقود الناس إلى جادة الصواب بعد انحراف وضلال.

3- قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[4]، فهذه الآية الكريمة تشير إلى ختم الله عز وجل الأديان بدين الإسلام، وهذا يعني أيضاً أن الله سيحفظ أمة الإسلام وسيبقيها ظاهرة على غيرها، لأنها هي الحاضنة والحاملة له مهما تعاقب

---

(1) سورة النساء: الآية (159).

(2) المعجم الكبير للطبراني: 153/11 برقم (11337)، مصنف بن أبي شيبة: 31/5 برقم (23419).

(3) ينظر: تفسير ابن كثير: 1/ 768.

(4)سورة المائدة، الآية(3).

الليل والنهار، ومهما كاد لها الأعداء، والتأريخ هو الشاهد على صدق ما نقول، فإن الله لا يخذل أتباعه، لهذا حار الأعداء وتحيروا، واخترعوا شتى الأساليب للقضاء عليه وعلى أهله، ولكن الله عز وجل يأبى إلاَّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

قال سيد قطب: (إن كتاب هذه الأمة هو كتاب الله الأخير للبشر، وهو يصدق ما بين يديه من الكتاب في أصل الاعتقاد والتصور، ولكنه – بما أنه هو الكتاب الأخير- يهيمن على كل من سبقه وإليه تنتهي شريعة الله التي ارتضاها لعباده إلى يوم الدين)[1].

4- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة: إنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته بأن الله سيستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة وأقوم سبيلاً)[3].

إذن فهو جهاد باق ومستمر إلى يوم القيامة، وهذا الجهاد يحتاج إلى طائفة لا تخاف إلاَّ الله، ويجب أن تكون موجودة لا تنقطع، يصطفيها الله تعالى بين الحين والآخر لحفظ دينه وبثه وإيصاله والدعوة إليه إلى كل بني

---

(1) ينظر: في ظلال القرآن: 630/2.

(2) سورة المائدة، الآية(54).

(3) ينظر: مختصر ابن كثير: 369/1.

البشر. والناظر في تسلسل الأحداث عبر التاريخ يجد أن هذه الطائفة من العباد لم تنعدم سواء أكانت متمثلة في فرد أم في أمة.

5- قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

في هذه الآية نرى أن الله تعالى أقسم وأمر وأعلن نكاية باليهود أنه سيُسخر عليهم من جنوده من يسومهم سوء العذاب، وهذا التسخير لا ينقطع على مر العصور إلى قيام الساعةوهذا التسخير يحتاج الى جماعة قوية مجاهدة قائمة بأمر الله متواجدة تسوم بني إسرائيل سوء العذاب وإلى يوم القيامة.

قال ابن كثير:

(أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتيالهم على المحارم، ويقال إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وكان أول من ضرب الخراج، ثم كانوا في قهر الملوك اليونانيين والكشدانيين والكلدانيين ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم وأخذهم منهم الجزية والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزية)، ثم قال: (عن سعيد بن المسيب، قال: يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية، قلت: ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصاراً للدجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم عليه السلام وذلك آخر الزمان)[2].

---

(1) سورة الأعراف، الآية(167).

(2) تفسير ابن كثير: 248/2.

7- قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] [22]، قال ابن كثير: (ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر، وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل)[2][23]، فهو باقٍ محفوظ لا يندثر ولا يتبدل، ولا يلتبس بالباطل، ولا يمسه التحريف، وهو يقودهم إلى الحق برعاية الله وحفظه، وإنما تعهده عز وجل بحفظ كتابه العزيز كدليل قاطع لا لبس فيه على أن هذه الأمة خالدة مع خلود القرآن، ولابد من عصبة مؤمنة تحمل أعباءه وتعمل بمقتضاه، وتحكّم أحوالها به، وتحتاج إليه على الدوام، حتى يأتي وعد الله بتحكيمه وسيادته على كافة المناهج والقوانين الوضعية التي تخالفه.

8- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾[3] . ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾: ليُحْزِنُوكم حُزناً يبدو في وجوهكم، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾: لِيُهْلِكُوا ويُدَمِّرُوا، على ما استولوا عليه.

فهذه الآية من المبشرات على سيادة الإسلام وعودته وظهوره، فاليهود اليوم يستوطنون في بيت المقدس، ويعيثون فيها فساداً، وهذا الاستيطان والتجمع هو نهايتهم بإذن الله.

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(1) سورة الحجر، الآية(9).

(2) ينظر: تفسير ابن كثير: 3/ 578، الإسراء: 7.

(3) سورة الإسراء، الآية(7).

(لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتى يُقَاتِلَ الْمُسلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلَهُمْ المسلِمُونَ، حَتى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَو الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِي خَلْفِي، فَتَعَال فَاقْتُلْهُ)[1].

قال سيد قطب: (ولقد عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عباداً آخرين، حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم (هتلر)، ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة (إسرائيل) التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقاً لوعد الله القاطع وفاقاً لسنته التي لا تتخلف، وإن غداً لناظره قريب)[2].

10- قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[3].

فهذا وعد من الله عز وجل لعباده المخلصين بالنصر المستمر، هذا الطريق الطويل لا يخلو من دعاة ومجددين ومبشرين ومجاهدين وتبقى الأرض بإذن الله مليئة بتلكم الأصناف المباركة، حتى يأتي وعد الله في قيام دولة الإسلام مجدداً كما قامت من قبل، فلبنة على لبنة حتى يكتمل البناء ويشمخ ويزهو..، ولم يكن كما يقول المثبطون: إن الأمة إلى زوال وإدبار.. فهذا النص الكريم يوحي بأن البناء سيكتمل عندما يأذن الله، وحينها سيتحقق وعد الله الحق.

---

(1) صحيح مسلم: 2239/4 برقم (2922)، مسند أحمد: 417/2 برقم (9387).

(2) الظلال: ج5 ص308.

(3) سورة النور، الآية(55).

يقول الدكتور القرضاوي: (يتحدث كثير من الدعاة عن آخر الزمان، وعن أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة حديثاً يوحي مُجْمَله أن الكفر في إقبال، وأن الإسلام في إدبار، وأن الشر ينتصر، والخير ينهزم، وأن أهل المنكر غالبون، وأهل المعروف ودعاته مخذلون، ومعنى هذا: أن لا أمل في تغيير، ولا رجاء في إصلاح، وأننا ننتقل من سيئ إلى أسوأ، ومن الأسوأ إلى الأشد، فما من يوم يمضي إلاّ والذي بعده شر منه، حتى تقوم الساعة، وهذا لا شك خطأ جسيم وسوء فهم، لما ورد من بعض النصوص الجزئية، وإغفال للمبشرات الكثيرة الناصعة القاطعة بأن المستقبل للإسلام، وأن هذا الدين سيظهره الله على كل الأديان ولو كره المشركون)[1].

والاستخلاف الذي أشارت إليه هذه الآية يعني السيادة في الأرض، ولا يكون ذلك إلاّ بتوافر صفات معينة، وهذه الصفات هي: الإيمان، والعمل الصالح، وعبادته سبحانه العبادة الحقة الخالية من الشرك، وهذه الجماعة أو الطائفة أو العصابة التي توافرت فيها هذه الصفات والمقومات، ستبقى تسود العالم ما بقيت متمسكة بأوامر الله عز وجل، ودون ذلك لا يتحقق لها هذا الاستخلاف، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ستكون طائفة من أمته متمسكة بأمر الله عز وجل، وسيكون لها الغلبة والسيادة، فعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس)[2].

قال ابن كثير وهو يسرد انتصارات المسلمين: (هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمة

(1) المبشرات: 30.

(2) صحيح مسلم: 75/7 - 76 برقم (1037).

الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً منهم، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملَّك بعد أصحمة (رحمه الله وأكرمه)، ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامة، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق، فلَمَّ شعث ما وهي بعد موته صلى الله عليه وسلم وأخذ جزيرة العرب ومهدها وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً من أهلها، وجيشاً آخر صحبة أبي عبيدة رضي الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثاً صحبة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق وما خلفها من بلاد حوران وما والاها، وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة، ومنَّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق، فقام بالأمر بعده قياماً تاماً لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس، وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته وقصر قيصر، وانتزع يده عن بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية، وأنفق أموالهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة، ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس

وقبرص، وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان، وجبى الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها)[1]فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله)[2].

وقال الربيع بن أنس عن أبي العالية في قول الله تعالى:

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾:

(قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة نحواً من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له سراً، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بعد بالهجرة إلى المدينة فقدموها، فأمرهم الله بالقتال، فكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح فصبروا على ذلك ما شاء الله، ثم إن رجلاً من الصحابة قال:

---

(1) صحيح مسلم: 2215/4 برقم (2889)، سنن أبي داود: 499/2 برقم (4252)، سنن الترمذي: 4/ 472 برقم (2176)، مسند أحمد: 123/4 برقم (17156) وغيرهم.

(2) تفسير ابن كثير: 290/3.

يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن تصبروا إلاَّ يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليست فيه حديدة)[1]،

وأنزل الله هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فآمنوا ووضعوا السلاح، ثم إن الله تعالى قبض نبيه صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه فأدخل عليهم الخوف فاتخذوا الحجزة والشرط وغيروا فغير بهم)[2].

وأخرج أحمد وابن مردويه واللفظ له والبيهقي في الدلائل عن أبي بن كعب، قال: لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم :(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات)،

قال: (بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب)[3].

12- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِ شَيءٍ عَلِيماً﴾[1] وهذا دليل آخر على قيادة هذه

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير: 159/18 من حديث الربيع عن أبي العالية مرسلاً وله شاهده من حديث أبي بن كعب موقوفاً عليه، وأخرجه الحاكم: 401/2، والبيهقي في الدلائل: (3/6-7) والطبراني في الأوسط، كما في مجمع البحرين: (58/6 برقم 3371) وصححه الحاكم، وأقره الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع: 83/7 رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. انظر: تخريج أحاديث الظلال: 581/1.

(2) تفسير ابن كثير: 291/3.

(3) مسند أحمد: (134/5 برقم (21260) و (21261) وعلق عليه شعيب الارنؤوط: إسناده قوي، شعب الإيمان للبيهقي: 334/5 برقم (6833)، المستدرك للحاكم: 346/4 برقم (7862) وعلق عليه الذهبي في التلخيص: صحيح..

(1) سورة الأحزاب، الآية(40).

الأمة للعالم من بعده صلى الله عليه وسلم، وهذا معنى خاتم النبيين، إنه ختم الرسالات السماوية به صلى الله عليه وسلم.

قال سيد قطب: (ومن ثم فهو يشرع الشرائع الباقية، لتسير عليها البشرية، وفق آخر رسالة السماء إلى الأرض، التي لا تبديل فيها بعد ذلك ولا تغيير ﴿وكَانَ اللهُ بِكُلِ شَيءٍ عَلِيمَاً﴾، فهو الذي يعلم ما يصلح لهذه البشرية، وما يصلحها، وهو الذي فرض على النبي ما فرض، واختار له ما اختار)[1].

وقال ابن كثير: (فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، فلا رسول بالطريق الأولى والأخرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس)[2]، ثم ذكر حديث الإمام أحمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلا رَسُولَ بَعْدِي وَلا نَبيَ)[3].

وبهذا يظل شرع الله قائماً، يقوم بتطبيقه أشخاص صالحون على منهجه صلى الله عليه وسلم، حتى يأتي أمر الله عز وجل بتحكيمه على نطاق العالم، وهذا يدل على أن هذا من المبشرات بعودة **الإسلام** وسيادته على العالم.

---

(1) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (ج2870/5) .

(2)انظر: الأحكام للآمدي: 4/ 159.

(3) سنن الترمذي: 533/4 برقم (2272)، ومسند أحمد: 267/3 برقم **(13851)** وعلق عليه الشيخ شعيب الارنؤوط بقوله: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير المختار بن فلفل فمن رجال مسلم.

13- قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَى يَتَبَينَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحقُّ﴾[1].

يقول الدكتور القرضاوي: (وهذا وعد من الله تعالى يبرز منه في كل زمن ما نشهده بأعيننا، وما نسمعه بآذاننا، وما نحسه بقلوبنا، ومن جملة ذلك ما نراه في عصرنا من دراسات من أهل العلم الطبيعي والرياضي لبيان أوجه جديدة للأعجاز العلمي في القرآن ومن بعض هذه الدراسات نظرات جيدة وعميقة اعترف بها عدد من غير المسلمين)[2].

ولو تدبرنا هذه الآية المباركة لوجدنا أنها تحتوي على الوعد بظهور الدين متمثلة في الخضوع لقدرة مشرعها، والاعتراف بالحق الذي لا حق بعده، وأن الغلبة لهذا الدين والذي يكون في مجالين أساسين:

فالأول: المجال الكوني المتمثل في آفاق السموات والأرض من الأدلة العلمية التي تصدع القلوب بالإيمان، وتملؤها باليقين، ولا شك أن ما يتوصل إليه من دراسات الفضاء ومكونات الوجود في الأرض وما فوقها لهو مقدمة لهذا الدين بالعودة وتحقيق الوعد في سيادته على العالم.

والثاني: ينصب على المجال الإنساني، وذلك لا يتحقق إلاَّ بإفلاس كل الفلسفات والنظم والشرائع الناشئة عن الفكر البشري، والتقنين الوضعي، وهذا ما نراه اليوم من الإفلاس، وتوجه كثير من الناس اليوم إلى دين خالقهم ومولاهم، وأن دراسات الباحثين والمفكرين على اختلاف اتجاهاتهم وثقافاتهم تقطع بأن المستقبل لهذا الدين[3].

---

(1) سورة فصلت، الآية(53).

(2) المبشرات: يوسف القرضاوي، ص30.

(3) هذا القرآن فأين منه المسلمون: 709/2 (بتصرف).

ونتيجة لهذه الاكتشافات وموافقتها لما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإن العشرات من العلماء الغربيين يدخلون الإسلام بين الحين والآخر، تحقيقاً لهذه الآية بأن منهج الله هو الحق، وهو السبيل إلى النجاة من طغيان الماديات على بني البشر.

14- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً﴾[1].

ففي هذه الآية إشارة متجددة لحصول النصر على مر الأزمنة، مهما كانت قوة الأعداء، فهو حق متجدد لهذه الأمة، ما بقوا متمسكين بأهداب الشريعة، ثم إن هذه الأمة أمانها وعافيتها بدينها ما إن تمسكت به، فكلما كانت معه سبحانه فلن يغلبها العدو ويقهرها ويقطع شأفتها فإن الله عز وجل تكفل ببقائها، وبقاء منهجها الحق الذي يؤوي إليه كل عاقل حصيف.

وبقاء البيت الحرام إلى يوم القيامة يؤمه المسلمون في أدائهم للحج والعمرة، وهما - أي الحج والعمرة - جزء من عبادتهم دليل هذه الآية على أن المستقبل لهذا الدين.

قال سيد قطب: (فوعد الله قد تحقق في الصورة السياسية الظاهرة قبل مضي قرن من الزمان بعد البعثة المحمدية، ووعد الله ما يزال متحققاً في الصورة الموضوعية الثابتة، وما يزال هذا الدين ظاهراً على الدين كله في

(1)سورة الفتح، الآيات(27 - 28).

حقيقته، بل إنه هو الدين الوحيد الباقي قادراً على العمل، والقيادة في جميع الأحوال)[1].

فقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، أي يغلب جميع الأديان ويعلوا عليها مهما كانت الأسباب والأحوال.

ويقول سيد قطب أيضاً: (وشهادة الله لهذا الدين، بأنه الهدى ودين الحق هي الشهادة، وهي كلمة الفصل التي ليس بعدها زيادة، ولقد تمت إرادة الله فظهر هذا الدين على الدين كله، ظهر في ذاته كدين، فما يثبت له دين آخر في حقيقته وفي طبيعته، فأما الديانات الوثنية، فليست في شيء في هذا المجال، وأما الديانات الكتابية، فهذا الدين خاتمها، وهو الصورة الأخيرة الكاملة الشاملة منها، وهو الصورة العليا الصالحة إلى نهاية الزمان،وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَتِي مَا زَوَى لِيَ مِنْهَا)[2].[3].

15- قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِم وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[4].

فهذه آية تحدي قد تحدى الله عز وجل بها أعداء الإسلام على مختلف أشكالهم وألوانهم وقوة عداوتهم، فهم في مأزق كلما اصطدموا بصخرة الإسلام.

---

(1) ينظر: الظلال: 512/7.

(2) صحيح مسلم: 2215/4 برقم (2889)، سنن أبي داود: 499/2 برقم (4252)، سنن الترمذي: 4/ 472 برقم (2176)، مسند أحمد: 123/4 برقم (17156) وغيرهم.

(3) ينظر: الظلال: 85/8.

(4) سورة الصف، الآية(8).

وقد استعرض سيد قطب (رحمه الله) الحملات العدائية التي قام بها أعداء الإسلام منذ ظهروه وإلى الآن، حيث قال: (ولقد وقف بنو إسرائيل في وجه هذا الدين الجديد وقفة العداء والكيد والتضليل، وحاربوه بشتى الوسائل والطرق حرباً شعواء لم تضع أوزارها حتى اليوم، حاربوه بالاتهام: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ كما قال الذين لا يعرفون الكتاب ولا يعرفون البشارة بالدين الجديد، وحاربوه بالدس والوقيعة داخل المعسكر الإسلامي، للإيقاع بين المهاجرين والأنصار في المدينة، وبين الأوس والخزرج من الأنصار، وحاربوه بالتآمر مع المنافقين تارة ومع المشركين تارة أخرى، وحاربوه بالانضمام إلى معسكرات المهاجمين كما وقع في غزوة الأحزاب، وحاربوه بالإشاعات الباطلة كما جرى في حديث الإفك على يد عبد الله بن أبي ابن سلول، ثم جرى في فتنة عثمان على يد عدو الله عبد الله بن سبأ، وحاربوه بالأكاذيب والإسرائيليات التي دسوها في الحديث وفي السيرة وفي التفسير – حين عجزوا عن الوضع والكذب في القرآن الكريم، ولم تضع الحرب أوزارها لحظة واحدة حتى اللحظة الحاضرة، فقد دأبت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية على الكيد للإسلام، وظلتا تَغيرانَ عليه أو تؤلبان عليه في غير وناة ولا هدنة في جيل من الأجيال، حاربوه في الحروب الصليبية في المشرق، وحاربوه في الأندلس في المغرب، وحاربوه في الوسط في دولة الخلافة الأخيرة حرباً شعواء حتى مزقوها وقسموا تركة ما كانوا يسمونه (الرجل المريض).. واحتاجوا أن يخلقوا أبطالاً مزيفين في أرض الإسلام يعملون لهم في تنفيذ أحقادهم ومكايدهم ضد الإسلام، فلما أرادوا تحطيم (الخلافة) والإجهاز على آخر مظهر من مظاهر الحكم الإسلامي صنعوا في تركيا (بطلاً).. ونفخوا فيه، وتراجعت جيوش الحلفاء التي كانت تحتل الأستانة أمامه لتحقق منه بطلاً

في أعين مواطنيه، بطلاً يستطيع إلغاء الخلافة، وإلغاء اللغة العربية، وفصل تركيا عن المسلمين، وإعلانها دولة مدنية لا علاقة لها بالدين، وهم يكررون صنع هذه البطولات المزيفة كلما أرادوا أن يضربوا الإسلام والحركات الإسلامية في بلد من بلاد المسلمين، ليقيموا مكانه عصبية غير عصبية الدين، وراية غير راية الدين)[1].

وإنما نقلته بتمامه لصلته بما نقصده من معرفة مراد الله عز وجل من هذه الآية، ورغم هذه المكائد التي ما يزال أعداء الإسلام يكيدون بها للإسلام ولأهله نقول: إن الله جل في علاه لن يتخلف عن وعده بإتمام نوره على أرضه ومملكته ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَو كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾، وقد صدق وعده، وأتم نوره في حياة رسوله صلى الله عليه وسلم وخلفائه، وما يزال وعده قائماً على الرغم من كل ما جرى على الإسلام والمسلمين من حرب وكيد وتنكيل وتشريد وبطش، لأن نور الله لا يمكن أن تطفئه الأفواه النتنة، ولا أن تطمسه كذلك بالنار والحديد في أيدي المخلوقين، وإن خُيل للطغاة الجبارين، وللأبطال المصنوعين على أعين الصليبيين واليهود أنهم بالغوا هذا الهدف البعيد. فلن يبلغوا أبداً، والله بالغ أمره ولو كره الكافرون.

---

(1) ينظر: الظلال: 84/8.

المبحث الثاني:

دلائل اعتناق أوروبا للإسلام من خلال الأحاديث النبوية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دلائل انتصار الإسلام وانتشاره في العالم.

المطلب الثاني: دلائل انتشار الإسلام في أوروبا.

المطلب الأول: دلائل انتصار الإسلام وانتشاره في العالم

(الأحاديث النبوية)

مقدمة

بالرغم من الضعف والتشرذم الذي تعيشه الأمة الإسلامية إلا أن الإسلام الذي هو دين التبشير والبشائر يُبشر هذه الأمة بأن هذا الدين سينتصر وينتشر في العالم هذا ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبثه في نفوس أصحابة رضي الله عنهم من أن النصر لهذا الدين حتى في أحلك الظروف وأشدها، فقد روى ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق بسنده إلى سراقة بن مالك بن جعشم قال:

لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً إلى المدينة، جعلت قريش مائة ناقة لمن ردّه عليهم.

قال: فبينا أنا جالس في نادي قومي إذ اقبل رجل منا، حتى وقف علينا، قال: والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا عليَّ آنفاً، إني لأراهم محمداً وأصحابه، قال: فأومأت إليه بعيني أن اسكت.

ثم قلت: إنما هم بنو فلان، يبتغون ضالةً لهم.

قال: لعله، ثم سكت.

قال: ثم مكثتُ قليلاً ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي، فقيد لي إلى بطن الوادي، وأُمرت بسلاحي فأخرج لي من حجرتي، ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها، ثم انطلقت فلبست لامتي، ثم أخرجت قداحي، فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره (لا يضره) (1)

وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم عليه حتى ساخت رجلا فرسه، ثم طلب منه الخلاص، وألا يدل عليه، ففعل، وكتب له أماناً ووعده النبي صلى الله عليه وسلم أن يلبس سواري كسرى، فلبسهما في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما(2).

نعم لقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بسواري كسرى، وهو مهاجرٌ مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه، يمشيان بالليل ويختفيا في النهار.

حيث قال صلى الله عليه وسلم بكل طمأنينة: كيف أنت يا سراقة إذا لبست سواري كسرى؟!

أذهل هذا الوعد سراقة، فوقف لا يحير جواباً لفترة، ومرت به أطياف وأفكار، وتساؤلات،

يا إلهي، بم يعدني هذا الرجل المهاجر؟

بم يعدني هذا الرجل الذي يطلبه الناس ويجرون خلفه ليقتلوه؟

(1) سيرة ابن هشام، (ج489/1).

(2) تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، ابن كثير الدمشقي، دار ابن حزم، ط2، 1996م، ص(398).

ما هذه الثقة التي تملأ نفسه، حتى يعدني هذا الموعد؟

إنه لا يجد شربة الماء، أو اللبن إلا بالجهد والتعب، ويعدني بسواري كسرى، لا، لا، إنك واهمٌ يا سراقة، لعل الأمر اختلط عليك، فخيل إليك أنك سمعت ما لم يقله محمد، أو أن محمداً يعني كسرى آخر غير الذي يحكم الفرس أقوى دولة وأعظم أمة.

وانتبه سراقة من دهشته، وأحب أن يتأكد مما سمع فقال لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): كسرى بن هرمز؟

قال عليه الصلاة والسلام: نعم.

واستدار سراقة بفرسه وأرخى عنانه، وانطلق عائداً من حيث أتى، وقد حمل معه أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووعده بسواري كسرى[1].

وفي غزوة الخندق، وأثناء حفر الخندق، والصحابة رضي الله عنهم يعملون في الحفر، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشاركهم الحفر، إذ استعصت على الصحابة الكرام صخرة، فأخبروا عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فجاء إليها فضربها بمعوله، فانكسر بعضها، فكبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال: الله أكبر، فتحت بلاد فارس، ثم ضربها ضربة أخرى فانكسرت الصخرة فكبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال: الله أكبر فتحت بلاد الروم.

المطلب الأول: الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على انتصار الإسلام وانتشاره في العالم:

---

(1) والله يعصمك من الناس، أحمد الجدع، دار الضياء، للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط4، 1986م، ص(39).

وردت أحاديث نبوية شريفة تبين أن الإسلام سيظهر على غيره من الأديان، وأنه سينتشر في العالم بأسره، ومن هذه الأحاديث:

1- ما روى الإمام مسلم في صحيحه عن ثوبان، قال:

قال رسول الله عليه وسلم: (إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها،

وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض،

وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة،

وأن لا يسلّط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم،

وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد،

وإني أعطيتك لأمتك؛ أن لا أهلكهم بسنة بعامة

وأن لا أسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم،

ولو اجتمع عليهم من أقطارها – أو قال من بين أقطارها – حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبى بعضهم بعضاً)[1].

2- وروى الإمام مسلم في صحيحه عن ثوبان أيضاً، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق،

لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك) [2].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم (2889).

(2) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، حديث رقم (1920) والبخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب حديث رقم (3640).

شرح مفردات هذا الحديث:

(طائفة) قال البخاري: هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟

قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذاهب أهل الحديث.

قال الإمام النووي: يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، فمنهم شجعان ومقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض.

(من خذلهم) يعني من خالفهم.

(حتى يأتي أمر الله): المراد به هو الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة[1].

3- وروى الإمام مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق، حتى تقوم الساعة)[2].

شرح مفردات الحديث:

(أهل الغرب): قال علي بن المديني: المراد(بأهل الغرب) العرب.

وقال معاذ: هم بالشام.

---

(1) انظر صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بدون.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، حديث رقم (1925).

وجاء في حديث آخر هم ببيت المقدس، وقيل: هم أهل الشام وما وراء ذلك.

قال القاضي عياض: وقيل المراد بأهل الغرب أهل الشدة والجلد، وغرب كل شيء حده[1].

4- وروى الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً) [2].

5-روى الإمام أبو داو في سننه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [3].

---

(1) انظر صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بدون.

(2) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله الحاكم، كتاب الفتن والملاحم، حديث عقيل بن خالد، حديث رقم (8669).

(3) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، حديث رقم (4291).

المطلب الثاني: دلائل انتشار الإسلام في أوروبا

(الأحاديث النبوية)

وهذا المطلب أخص من الذي قبله، فهنا نتحدث عن أحاديث نبوية مخصوصة، صدرت عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، والتي يُخبر فيها بأن الإسلام سيدخل إلى أوروبا بل إلى مدينة روما عاصمة إيطاليا اليوم، قلب العالم المسيحي، في حديث صريح واضح، كوضوح الشمس في رابعة النهار، حيث:

أخرج الإمام أحمد في مسنده قال: حدثنا يحيى بن إسحاق، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، قال: حدثني أبو قبيل، قال: كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أم رومية؟

فدعا عبدالله بصندوق، له حَلَقٌ، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبدالله: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب، إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مدينة هرقل تفتح أولاً، يعني القسطنطينية[1].

وقد تحقق الفتح الأول على يد (محمد الفاتح) العثماني، كما هو معروف وذلك بعد أكثر من ثمان مئة (800) سنة من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح، وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى، ولا بد، ولتعلمن نبأه بعد حين.

---

(1) مسند أحمد (ج11 / 224) حديث رقم (6645) مسند عبدالله بن عمرو بن العاص، وسنن الدارمي، المقدمة، باب من رخص في كتابة العلم، حديث رقم (503).

ولا شك أن تحقيق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة، وهذا ما يبشرنا به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها،

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها،

ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها،

ثم تكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها،

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت[1].

2) روى الإمام مسلم في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها) [2].

3) وروى الإمام أحمد في مسنده عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ليبلغن هذا الأمر– يعني الإسلام – ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله

---

(1) مسند أحمد (ج3/ 355) حديث رقم (18406) ومسند البزار، مسند حذيفة بن اليمان، حديث رقم (2796).
(2) صحيح مسلم، كتاب الفتن، وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم (2889).

الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزّاً يُعز الله به الإسلام، وذلاً يُذل الله به الكفر) [1].

وكان تميم الداري يقول:

(قد عرفت ذلك في أهل بيتي،ولقد أصاب من أسلم منهم، الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية) [2].

(1) تقدم تخريجه.

(2) مسند أحمد (ج28 / 154) حديث رقم (16957) والمعجم الكبير للطبراني، باب التاء، ما أسند تميم الداري، حديث رقم (1280).

الفصل السادس:

حقيقة عيسى بن مريم وأمه (في القرآن الكريم والحديث الشريف)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: قصة مريم.

المبحث الثاني: عيسى بن مريم

المبحث الأول: قصة مريم ابنة عمران:

وسوف نتتبع قصة أم مريم واسمها حنة بنت فاقوذ، في القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1]

امرأة عمران هذه هي أم مريم عليها السلام، واسمها كما ذكرنا حنة بنت فاقوذ.

قال محمد بن إسحاق: وكانت امرأة لا تحمل، فرأت يوما طائراً يطعم فرخه، فاشتهت الولد، فدعت الله تعالى أن يهبها ولداً، فاستجاب الله دعاءها، فواقعها زوجها، فحملت منه.

فلما تحققت الحمل نذرته أن يكون ﴿مُحَرَّراً﴾ أي: خالصاً مفرغاً للعبادة، لخدمة بيت المقدس.

فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لدعائي، العليم بنيتي، ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكراً أم أنثى؟ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ ثم قالت: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾ أي: في القوة والجلَد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى.

ثم قالت: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ فيه دلالة على جواز التسمية يوم الولادة كما هو ظاهر من السياق؛ لأنه شرع من قبلنا[2].

ثم قال الله تعالى إخباراً عن أم مريم، أنها قالت:

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان: (35 – 36).

(2) تفسير ابن كثير، ج1/ ص537 – 538.

﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: عوَّذتها بالله عز وجل من شر الشيطان، وعوذت ذريتها، وهو ولدها عيسى، عليه السلام من شر الشيطان كذلك،

فاستجاب الله لها ذلك، حيث روى الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِن مَوْلُودٍ يُولَدُ إلا مَسَّه الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلّ صَارِخاً مِنْ مَسِّهِ إيَّاهُ، إلا مَرْيَمَ وابْنَهَا).

ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1].

وفي رواية مسلم: (ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسه، إلا ابن مريم وأمه) [2].

وفي رواية: (كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه، إلا مريم وابنها) [3].

وفي رواية البخاري: (كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد، غير عيسى بن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب) [4].

الله تعالى يتقبل مريم:

ذكرنا أن أم مريم نذرت ما في بطنها لله تعالى محرراً فماذا كان؟

لقد تقبل الله تعالى هذا المولود، وهي مريم بقبول حسن،

---

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِالرَّجِيمِ﴾. حديث رقم (4548) وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، حديث رقم (2366).

(2) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، حديث رقم (2366).

(3) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، حديث رقم (2366).

(4) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (3286) ومعنى يطعن: يضرب، الحجاب: الجلدة التي فيها الجنين، وتسمى المشيمة،وقيل الحجاب الثوب الذي يلف فيه المولود.

قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(1).

نعم لقد تقبل الله تعالى من أم مريم نذرها، ويخبر تعالى أنه أنبتها نباتاً حسناً، أي جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده، تتعلم منهم العلم والخير والدين.

قال ابن كثير: وما ذلك إلا أنها كانت يتيمة، وقيل: إن بني إسرائيل أصابتهم سنة جدب، فكفل زكريا مريم لذلك(2)، ولا منافاة بين القولين.

وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها، لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً، ولأنه كان زوج خالتها، على ما ذكره ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما.

وقيل: إنه زوج أختها، كما ورد في الصحيح: فإذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة.

وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحاق ذلك توسعاً، فعلى هذا تكون في حضانة خالتها.

مكانة مريم العالية وكرامتها:

لقد بلغت مريم عليها السلام مكانة عالية بين قومها في عبادتها وعفتها وجلدها في العبادة، فأفاض الله تعالى عليها من كراماته ما أدهش زكريا عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً﴾(3).

---

(1) سورة آل عمران، الآية (37).

(2) تفسير ابن كثير، ج1/ 539.

(3) سورة آل عمران، الآية (37).

يعني: وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف[1].
قاله مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدي .
فلما رأى زكريا هذا عندها ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]
لقد نالت مريم ابنة عمران مكانة عظيمة عند الله عز وجل بسبب عبادتها وعفتها وإخلاصها وإقبالها على الله تعالى، فأكرمها الله بما يكرم به خاصة عباده وأوليائه، فكانت هذه الفتاة العابدة منقطة للعبادة في محرابها، مخلصة في صلاتها وصيامها لله رب العالمين.
فكفاها الله تعالى مؤنة الطعام والشراب، كرامة منه سبحانه، فكانت تأتيها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ليُعلم أن هذا الطعام مصدره من السماء، من عند الله تعالى.
وتأكيداً لهذه الكرامة التي منحها الله تعالى لمريم، وإظهاراً لسنة الله تعالى في إكرام عباده وأوليائه، فقد تكررت هذه الكرامة لفاطمة بنت محمد، ابنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ورضي الله عنها.
كرامة فاطمة الزهراء رضي الله عنها:
اعلم أيها القارئ الكريم أن الله تعالى يكرم أولياءه في كل زمان ومكان، بأنواع من الكرامات، تثبيتاً لهم على الطاعة، وإظهاراً لمكانتهم عنده، وبياناً لقربه من أوليائه وإظهاراً لحبه لهم، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[3] وقد مر معنا كيف أكرم الله تعالى مريم ابنة عمران وذكر ذلك آيات تتلى إلى يوم القيامة.

---

(1) المرجع السابق، ج539/1.
(2) سورة آل عمران، الآية (37).
(3) سورة المائدة، الآية (54).

وقد أكرم الله تعالى أيضاً فاطمة الزهراء، أم الحسن والحسين، وزجة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، (رضي الله عنه)، بما أكرم به مريم عليها الصلاة والسلام.

فيما روى الإمام ابن كثير، وابن أبي حاتم ايضا في تفسيريهما حديثاً عن أبي يعلى الموصلي بإسناده إلى جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أقام أياماً لم يطعم طعاماً، حتى شق عليه ذلك.

فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً.

فأتى فاطمة فقال:

(يا بنية هل عندك شيء آكله، فإن جائع؟).

فقالت: لا والله، بأبي أنت وأمي.

فلما خَرَج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها فوضعته في جَفْنَةٍ[1] لها،

وقالت: والله لأوثرن بهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على نفسي ومن عندي.

وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثت حَسَنا أو حُسَينا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرجع إليها فقالت له: بأبي وأمي قد أتى الله بشيء فخَبَّأتُه لك. قال: "هَلُمِّي يا بُنيَّة".

قالت: فأتيته بالجفنة. فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً،

فلما نظرَتْ إليها بُهِتتْ وعرفَتْ أنها بركة من الله، فحمدَت الله وصلَّت عَلى نَبيِّهِ،

وقدّمَتْه إلى رسولِ الله (صلى الله عليه وسلم). فلما رآه حمد الله وقال: "مِنْ أيْنَ لَكِ هَذَا يَا بُنَية؟"

---

(1) الجفنة كالقصعة، انظر مختار الصحاح، (ج1/ 59).

فقالت: يا أبت، ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]
فحمد الله وقال: "الحَمْدُ لله الَّذي جَعَلَكِ -يا بُنَيَّة- شَبيهَةِ بسيدةِ نِساء بَني إسْرَائيلَ، فَإِنَّها كَانَتْ إذَا رَزَقَهَا اللهُ شَيْئاً فَسُئِلَتْ عَنْهُ قَالَتْ: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عَلِيٍّ ثم أكل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأكل علي، وفاطمة، وحسن، وحسين، وجميع أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم وأهل بيته جميعاً حتى شبعوا.
قالت: وبقيت الجفنة كما هي، فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران، وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيراً.
موقف زكريا من كرامات مريم:
ذكرنا سابقاً أن الله تعالى تقبل مريم بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً، وكفّلها زكريا.
وقد ذكر كثير من علماء التفسير أن أمها حين وضعتها لفتها في خروقها، ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد الذين هم مقيمون به، وكانت ابنة إمامهم، وصاحب صلاتهم، فتنازعوا فيها.
والراجح أنها إنما سلمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها.
فلما دفعتها إليهم، تنازعوا في أيهم يكفلها.
وكان زكريا عليه الصلاة والسلام نبيهم في ذلك الزمان، وقد أراد أن يحظى بكفالتها من أجل أن زوجته أختها أو خالتها، على قولين للعلماء في ذلك.
فاختلفوا معه على ذلك وطلبوا أن يقترع معهم، فساعدته المقادير فخرجت القرعة لصالحه، وذلك لأن الخالة بمنزلة الأم. قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[1]

---

(1) سورة آل عمران، الآية (37).
(1) سورة آل عمران، الآية (37).

أي بسبب غلبه لهم في القرعة، كما قال تعالى:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[1]

قالوا: وذلك أن كلاً منهم ألقى قلماً معروفاً به، ثم حملوها في موضوع وأمروا غلاماً لم يبلغ الحنث فأخرج واحداً منها،

فظهر قلم زكريا عليه السلام، فطلبوا أن يقترعوا مرة ثانية، وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم في النهر، فأيهم جرى قلمه على خلاف جريه في الماء فهو الغالب،

ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جرية الماء، وسارت أقلامهم مع الماء، ثم طلبوا منه أن يقترعوا ثالثة.

فأيهم جرى قلمه مع الماء ويكون بقية الأقلام قد انعكس سيرها صعداً فهو الغالب ففعلوا، فكان زكريا هو الغالب لهم فكفلها.

إذ كان أحق بها شرفاً وقدراً لوجوه عديدة[2].

واتخذ لها زكريا مكاناً شريفاً من المسجد لا يدخله سواه، فكانت تعبد الله فيه، وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها، حتى صارت يُضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل،

واشتهرت بما ظهر عليها من الاحوال الكريمة والصفات الشريفة،

حتى كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقاً غريباً في غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف،

---

(1) سورة آل عمران، الآية (44).

(2) قال القرطبي: في الآية دلالتان: القرعة كانت آية له ، لأنه نبي تجري الآيات على يديه، ودلت الآية الثانية على أن الخالة أحق بالحضانة من سائر القرابات، ما عدا الجدة، انظر تفسير القرطبي، (ج4/86).

فيسألها ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾،

فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي رزق رزقنيه الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]

فعند ذلك وهنالك طمع زكريا في وجود ولدٍ من صُلبه، وإن كان قد أسَنَّ وكَبَر، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2]

قال بعضهم:

قال زكريا: يا من يرزق مريم الثمر في غير أبانه، هب لي ولداً وإن كان في غير أوانه[3].

فكان ما قصة الله تعالى من استجابة دعائه وإعطائه ما طلب.

فضائل مريم ابنة عمران عليها الصلاة والسلام:

في القرآن الكريم:

لقد وردت آيات عديدة في القرآن الكريم تبين فضل مريم بنت عمران، عليها الصلاة والسلام، ومكانتها العالية وأنها امرأة صديقية طاهرة عفيفة، ومن هذه المناقب والفضائل:

1- أن الله اصطفاها على نساء العالمين:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[4]

---

(1) سورة آل عمران، الآية (37).

(2) سورة آل عمران، الآية (38).

(3) انظر البداية والنهاية، ابن كثير (ج2/ 70).

(4) سورة آل عمران، الآيات (42- 43).

قال ابن كثير:

"هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم، عليها السلام، عن أمر الله لهم بذلك:

أن الله قد اصطفاها، أي: اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهرها من الأكدار، واصطفاها ثانياً مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين.

ثم أخبر تعالى عن الملائكة،

أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والخضوع والسجود والركوع والدؤوب في العمل لها، لما يريد الله تعالى بها من الأمر الذي قدره وقضاه، مما فيه محنة لها ورفعة في الدارين، بما أظهر الله تعالى فيها من قدرته العظيمة حيث خلق منها ولداً من غير أب.

فقال تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[1]

أما القنوت فهو الطاعة في خشوع.

وقال مجاهد: كانت مريم، عليها السلام، تقوم حتى تتورم كعباها،

والقنوت هو: طول الركوع في الصلاة، يعني امتثالاً لقوله تعالى:

﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾.

قال الحسن: يعني اعبدي لربك ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي: كوني منهم.

وقال الأوزاعي: ركدت في محرابها راكعة وساجدة وقائمة، حتى نزل الماء الأصفر في قدميها، رضي الله عنها.

وذكر ابن أبي الدنيا بسنده، قال: كانت مريم، عليها السلام، تغتسل في كل ليلة[2].

---

(1) سورة آل عمران، الآية (43).

(2) تفسير ابن كثير، (ج543/1).

2- أن الملائكة نقلت لها البشرة بكلمة من الله:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1]

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام، بأنه سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾

أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله، أي بقوله له: (كن) فيكون.

وهذا تفسير قوله: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾[2]

كما ذكره الجمهور على ما سبق بيانه.

قوله: اسمه المسيح عيسى ابن مريم.

أي يكون مشهوراً بهذا في الدنيا، يعرفه المؤمنون بذلك[3].

وسمي المسيح قال بعض السلف لكثرة سياحته، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين، أي لا أخمص لهما.

وقيل: لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى[4].

3- كفر اليهود الذين رموا مريم بالبهتان العظيم:

قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾[5]

(1) سورة آل عمران، الآية (45).

(2) سورة آل عمران، الآية (39).

(3) تفسير ابن كثير (ج1/ 544).

(4) المرجع نفسه (ج1/ 545).

(5) سورة النساء، الآية (159).

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني أنهم رموها بالزنا.

وكذا قال السدي ومحمد بن إسحاق وغير واحد.

وهو ظاهر من الآية، أنهم رموها وابنها بالعظائم، فجعلوها زانية، وقد حملت بولدها من ذلك، زاد بعضهم: وهي حائض، فعليهم (أي اليهود) لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة[1].

وهكذا ترى أيها القارئ الكريم كيف وقر القرآن الكريم السيدة مريم ابنة عمران عليها السلام، واعتبرها مطهرة وعابدة لله عز وجل، بينما يعتبرها اليهود أنها ارتكبت فاحشة، وقد اعتبر القرآن الكريم أن من قال ذلك بحق مريم عليها السلام كافرا .

4-وصف القرآن للسيدة مريم أنها صديقة:

قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2]

قال ابن كثير: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أي مؤمنة به، مصدقة له.

وهذا أعلى مقاماتها.

---

(1) تفسير ابن كثير (ج1/ 872).

(2) سورة المائدة، الآية (75).

وقوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ أي يحتاجان إلى التغذية به، وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس، وليسا بإلهين، كما زعمت فرق النصارى[1].

5- مريم الطاهرة تستعيذ بالله من رجلٍ ظهر لها فجأة، ولم يكن إلا جبريل:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾[2]

لقد كانت مريم عليها السلام من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل، ونشأت ببني إسرائيل نشأة عظيمة، فكانت إحدى العابدات الناسكات، المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل الدؤوب.

فلما تبدى لها الملك في صورة بشر، وهي في مكان منفرد، وبينها وبين قومها حجاب، خافته وظنت أنه يريدها على نفسها

فقالت: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾.

أي: إن كنت تخاف الله، تذكيراً له بالله، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل.

قال ابن كثير: قال أبو وائل: قد علمت أن التقي ذو نهيه حين قالت: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾.

(1) تفسير ابن كثير (ج130/2).
(2) سورة مريم، الآية (19).

أي: فقال لها الملك مجيباً لها ومزيلاً ما حصل عندها من الخوف على نفسها: لست مما تظنين ولكني رسول ربك، أي بعثني إليك.

ويقال: إنها لما استعاذت بالرحمن انتفض جبريل فرقاً أي(خوفاً) وعاد إلى هيئته، وقال: ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً﴾[1]

وهكذا نرى هذه الطاهرة كيف لجأت إلى الله، واستعاذت به حين خافت على نفسها عندما ظهر لها جبريل فجأة على هيئة رجل وسطر الله تعالى هذا المشهد قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

6 – أن الله تعالى آوى مريم وابنها عيسى إلى ربوة ذات قرار ومعين:

وهذه فضيلة أخرى يذكرها القرآن الكريم فيما خص الله تعالى به مريم وابنها من أيوائها في تلك الربوة حيث

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[2]

يقول ابن كثير في تفسير:

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم، عليهما السلام، أنه جعلهما آية للناس: أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم،

وخلق حواء من ذكر بلا أنثى

وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر،

وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى.

---

(1) سورة مريم، الآيات (16 – 18). انظر تفسير ابن كثير، (ج3/ 186).

(2) سورة المؤمنون، الآية (50).

وقوله تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[1]

قال الضحاك عن ابن عباس: الربوة هي المكان المرتفع من الأرض، وهو أحسن ما يكون فيه من النبات.

قال ابن عباس: وقوله: ذات قرار ومعين.

يقول: ذات خصب (ومعين) يعني ماء طاهراً.

قال ابن كثير: وقد اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة في أي أرض الله هي؟

قال سعيد بن المسيب في قوله تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[2] قال هي دمشق.

وقال ابن عباس: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: أنها دمشق.

وقال الضحاك وقتادة، ﴿إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ هو بيت المقدس، فهذا والله أعلم، هو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأخرى، والقرآن يفسر بعضه بعضاً، وهذا أولى ما يفسر به، ثم الأحاديث الصحيحة ثم الآثار[3].

فضائل مريم في الحديث النبوي الشريف:

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة في فضل السيدة مريم تبين ما لها من منزلة رفيعة بين نساء زمانها بل بين نساء العالمين ومن هذه الأحاديث:

---

(1) سورة المؤمنون، الآية (50).

(2) سورة المؤمنون، الآية (50).

(3) تفسير ابن كثير (ج3/ 395).

1-ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن علي بن أبي طالب قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم: يقول: (خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة) [1].

2-وروى الإمام البخاري عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) [2].

3-وروى الإمام أحمد عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (حسبك من نساء العالمين بأربع، مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون وفاطمة بنت محمد خديجة ابنة خويلد) [3].

4-وروى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (نساء قريش خير نساء، ركبن الإبل، أحناه على طفل، وأرعاه على زوج في ذات يده).

يقول أبو هريرة على إثر ذلك، ولم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط[4].

5-روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت لفاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، رأيتك حين أكببت على

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء باب (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك) حديث رقم (3432).

(2) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون) حديث رقم (3411).

(3) مسند أحمد (ج2/ 850).

(4) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك) حديث رقم (3434).

النبي (صلى الله عليه وسلم) في مرضه فبكيتِ، ثم أكببت عليه ثانية فضحكتِ .

قالت: أكببت عليه فأخبرني أنه ميت فبكيت، ثم أكببت عليه الثانية فأخبرني أني أول أهله لحوقاً به، وأني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم ابنة عمران[1].

6- وروى الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) : " فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران" [2].

(1) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الفضائل، باب ما ذكر في فضل فاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وسلم حديث رقم (32270).

(2) المستدرك على الصحيحين أبو عبدالله الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (4733).

المبحث الثاني: عيسى بن مريم عليه السلام

سنتناول في هذا المبحث الكلام على عيسى عليه السلام من حيث بشارة أمه به، ثم ولادته، ثم ما أكرمه الله به من المعجزات متتبعاً ذلك في القرآن الكريم، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال العلماء مستعيناً بالله تعالى في بيان ذلك.

1_ بشارة مريم بغلام:

لما تمتعت به مريم من أخلاق فاضلة وعبادة عظيمة، وكونها من سلالة شريفة، تنتهي إلى داود عليه السلام، ونشأتها في بيت علم ونبوة، وكفالة زكريا عليه السلام لها، أصبحت مريم أهلاً لكرم الله وفضله، فما لبثت إلا جاءتها الملائكة بالبشارة قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1]

قال ابن كثير:

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام، بأن سيوجد منها ولد عظيم، له شأن كبير.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾.

أي: بولد يكون وجوده بكلمة من الله،

أي: بقوله له: "كن" فيكون، وهذا تفسير قوله: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ كما ذكره الجمهور[2].

---

(1) سورة آل عمران، الآية (45).

(2) تفسير ابن كثير (ج545/1).

ب_ ولادة عيسى عليه السلام:

لقد وردت قصة ولادة عيسى عليه السلام في سورة مريم مفصلة ولا يوجد بعد كلام الله كلام، ولا بعد بيانه بيان، حيث قال تعالى في شأن ذلك: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾[1]

قال ابن كثير:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ وهي مريم بنت عمران، من سلالة داود، عليه السلام، كانت من بيت طاهر في بني إسرائيل. وقد نذرتها أمها حين حملت بها محررة، أي: تخدم مسجد بيت المقدس، وكانوا يتقربون إلى الله بذلك.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾ حيث نشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة، فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة.

وكانت في كفالة زوج أختها، وقيل: زوج خالتها، زكريا عليه السلام.

ورأى زكريا لها من الكرامات ما بهره، حيث كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء.

(1) سورة مريم، الآيات (16 – 21).

فلما أراد الله تعالى – وله الحكمة والحجة البالغة – أن يُوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام.

أحد الرسل أولي العزم الخمسة العظام.

﴿انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾

أي: اعتزلتهم وتنحت عنهم، وذهبت إلى شرق المسجد المقدس.

وعن ابن عباس قال: إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت "الحرام" والحج إليه،

وما صرفهم عنه إلا قول ربك: ﴿انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾

قال: خرجت مريم مكاناً شرقيّاً، فصلوا قبل مطلع الشمس.

وقال ابن جرير بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتخذت النصارى المشرق قِبلَة؛

لقول الله تعالى: ﴿انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾

واتخذوا ميلاد عيسى قبلة.

وقال قتادة: ﴿مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾ شاسعاً متنحيّاً.

وقال محمد بن إسحاق: ذهبت بقلتها تستقي من الماء.

وقال نَوْف البِكَالي: اتخذت لها منزلا تتعبد فيه[1].

قال ابن كثير في تفسيره:

وقوله: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً﴾ أي: استترت منهم وتوارت،

---

(1) تفسير ابن كثير (ج3/ 185 – 186)،وانظر تفسير الطبري ،ج162/18،وتفسير الكشاف للزمخشري ،ج9/3 ، ومفاتح الغيب للرازي ، ج520/21 ،

فأرسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام.

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ أي: على صورة إنسان تام كامل.

قال مجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن جُرَيْج، ووهب بن مُنَبِّه، والسُّدِّي، في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني: جبريل، عليه السلام.

وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن، فإنه تعالى قد قال في الآية الأخرى: ﴿نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[1].

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾ أي: لما تَبَدى لها الملك في صورة بشر، وهي في مكان منفرد.

وبينها وبين قومها حجاب، خافته وظنت أنه يريدها على نفسها،

فقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾ أي: إن كنت تخاف الله.

تذكير له بالله، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل، فخوفته أولا بالله، عز وجل.

قال ابن جرير بسنده عن أبي وائل – وذكر قصة مريم – فقال: قد علمت أن التقي ذو نُهْيَة حين قالت:

﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾

أي: فقال لها الملك مجيباً لها ومزيلاً ما حصل عندها من الخوف على نفسها: لست مما تظنين، ولكني رسول ربك، أي: بعثني إليك،

ويقال: إنها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرقاً وعاد إلى هيئته.

وقال: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾.

---

(1) المرجع نفسه، (ج186/3).

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَم أَكُ بَغِيّاً﴾

أي: فتعجبت مريم من هذا وقالت:

كيف يكون لي غلام؟ أي: على أي صفة يوجد هذا الغلام مني، ولست بذات زوج، ولا يتصور مني الفجور؛ ولهذا قالت:

﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾

والبغي: هي الزانية؛ ولهذا جاء في الحديث أنه(نهي عن مهر البغي).

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾

أي: فقال لها الملك مجيباً لها عما سألت: إن الله قد قال:

إنه سيوجد منك غلاماً، وإن لم يكن لك بعلاً ولا توجد منك فاحشة،

فإنه على ما يشاء قادر؛

ولهذا قال: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾

أي: دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم، الذي نوَّع في خلقهم، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى، إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر.

فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره، ولا رب سواه.

قوله: ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ أي ونجعل هذا الغلام رحمة من الله، نبيّاً من الأنبياء، يدعو إلى الله تعالى وتوحيده.

وهذا كقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

أي: يدعو إلى عبادة الله ربه في مهده وكهولته.

قال ابن أبي حاتم بسنده إلى مجاهد قال:

قالت مريم، عليها السلام: كنت إذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وهو في بطني وإذا كنت مع الناس سبَّح في بطني وكبَّر.

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾

يحتمل أن هذا من كلام جبريل لمريم، يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدره ومشيئته. ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأنه كنى بهذا عن النفخ في فرجها، كما قال تعالى:

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾[2]

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾[3]

قال محمد بن إسحاق: ﴿وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾ أي: أن الله قد عزم على هذا، فليس منه بد، واختار هذا أيضاً ابن جرير في تفسيره، ولم يحك غيره، والله أعلم.

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان (45 - 46).
(2) سورة التحريم، الآية (12).
(3) سورة الأنبياء، الآية (91).

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾[1]

يقول تعالى مخبراً عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال، أنها استسلمت لقضاء الله تعالى.

فذكر غير واحد من علماء السلف أن الملك – وهو جبريل عليه السلام – عند ذلك نفخ في جيب درعها، فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج، فحملت بالولد بإذن الله تعالى.

فلما حملت به ضاقت ذرعاً به، ولم تدر ماذا تقول للناس، فإنها تعلمُ أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به، غير أنها أفشت سرها وذكرت أمزها لأختها امرأة زكريا.

وذلك أن زكريا عليه السلام، كان قد سأل الله الولد، فأجيب إلى ذلك، فحملت امرأته، فدخلت عليها مريم فقامت إليها فاعتنقتها، وقالت: أشعرت يا مريم أني حبلى؟

فقالت لها مريم: وهل علمت أيضاً أني حبلى؟

وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها، وكانوا بيت إيمان وتصديق،

ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت مريم تجد الذي في جوفها يسجد للذي في بطن مريم

أي: يعظّمه ويخضع له، فإن السجود كان في ملتهم عند السلام مشروعاً، كما سجد ليوسف أبواه وإخوته، وكما أمر الله الملائكة أن تسّجد لآدم، عليه السلام،

---

(1) سورة مريم، الآيات (22 – 23).

ولكن حرم في ملتنا هذه تكميلا لتعظيم جلال الرب تعالى[1].

قال ابن كثير:

قال ابن أبي حاتم بسنده إلى مالك رحمه الله قال: بلغني أن عيسى ابن مريم ويحيى ابن زكريا ابنا خالة، وكان حملهما جميعا معا، فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم: إني أرى أن ما في بطني يسجد لما في بطنك.

قال مالك: أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام؛ لأن الله جعله يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص[2].

ج) كم كانت مدة الحمل بعيسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾[3]

لقد اختلف العلماء في مدة حمل عيسى عليه السلام على أقوال، وهي:

1- جمهور العلماء أنها حملت به تسعة أشهر.

2- قول عكرمة: ثمانية أشهر، ولهذا يقال: لا يعيش ولد الثمانية أشهر.

3- قول ابن عباس، عندما سئل عن حمل مريم بعيسى، قال: لم يكن إلا أن حملت فوضعت.

وعقب ابن كثير على هذا الرأي بقوله:

وهذا غريب، وكأنه أخذه من ظاهر قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾

(1) تفسير ابن كثير (ج3/ 187).

(2) تفسير ابن كثير (ج3/ 188).

(3) سورة مريم، الآيات (22 - 23).

فالفاء وإن كانت للتعقيب، ولكن تعقيب كل شيء بحسبه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً﴾[1]

فهذه الفاء للتعقيب بحسبها،

وقد ثبت في الصحيحين: أن بين كل صفتين أربعين يوماً[2]،

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾[3] الراجح: أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن؛ أي تسعة أشهر، وهو القول الأول.

ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل عليها، وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس، يقال له: يوسف النجار، فلما رأى ثقل بطنها وكبره، أنكر ذلك من أمرها، ثم صرفه ما يعلم من براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها،

ثم تأمّل ما هي فيه، فجعل أمرها يجوس في فكره، لا يستطيع صرفه عن نفسه، فحمل نفسه على أن عرّض لها في القول،

فقال: يا مريم، إني سائلك عن أمر فلا تعجلي عليّ.

قالت: وما هو؟

---

(1) سورة المؤمنون، الآيات (12 – 14).

(2) تفسير ابن كثير (ج188/3) قلت: يستدرك على هذا القول، بأن المراحل الثلاثة لخلق الإنسان، وهي النطفة والعلقة والمضغة، تكون جميعاً أربعين يوماً، وليس كما يُشاع أن بين كل مرحلة ومرحلة أربعون يوماً، وعليه يكون المجموع هو مئة وعشرون يوماً ، فهذا غير صحيح.

(3) سورة الحج، الآية (63).

قال: هل يكون قط شجر من غير حبّ؟ وهل يكون زرع من غير بذر؟ وهل يكون ولد من غير أب؟

فقالت: نعم – فهمت ما أشار إليه –

أما قولك: هل يكون شجر من غير حب وزرع من غير بذر؟

فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب، ولا بذر.

وقولك هل خلق يكون من غير أب؟

فإن الله قد خلق آدم من غير أب ولا أم.

فصدقها، وسلَّم لها حالها.

ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة، انتبذت منهم مكاناً قصيّاً، أي: قاصياً منهم بعيداً عنهم؛ لئلا تراهم ولا يروها.

قال محمد بن إسحاق:

فلما حملت به وملأت قلتها ورجعت، استمسك عنها الدم وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب والترحم وتغير اللون، حتى فَطَرَ لسانها، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا، وشاع الحديث في بني إسرائيل،

فقالوا: "إنما صاحبها يوسف"، ولم يكن معها في الكنيسة غيره، وتوارت من الناس، واتخذت من دونهم حجاباً، فلا يراها أحد ولا تراه[1].

(1) تفسير ابن كثير (ج189/3).

د- مريم في ألم المخاض:

فلما توارت مريم عن قومها، ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾

قال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾

أي: فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة، وهي نخلة في المكان الذي تنحت إليه.

وقد اختلف العلماء في مكان مخاض مريم على أقوال منها:

قال السدي: كان شرقي محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس.

وقال وهب بن مُنَبِّه: ذهبت هاربة، فلما كانت بين الشام وبلاد مصر، ضربها الطلق.

وفي رواية ثانية عن وهب: كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس، في قرية هناك يقال لها: "بيت لحم".

وقد رجح العلامة ابن كثير أنها "بيت لحم" مستأنساً بحديث رواه النسائي عن أنس، والبيهقي عن شدَّاد بن أوس، رضي الله عنه: أن ذلك ببيت لحم، فالله أعلم، ثم علق

قائلاً: وقد ورد به الحديث إن صح[1].

وقال أيضاً: إن ذلك ببيت لحم، وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض، ولا يشك فيه النصارى أنه ببيت لحم، وقد تلقاه الناس.

(1) تفسير ابن كثير (ج189/3).

هـ- حال مريم عند المخاض:

لقد صور القرآن الكريم حال هذه الفتاة العابدة النقية عند مخاضها فقال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:

فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة[1]، فإنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في خبرها،

وبعدما كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية، فقالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾

أي قبل هذا الحال، ﴿وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾ أي لم أُخلق ولم أك شيئاً.

وهذا قول حبر الأمة ابن عباس.

وقال السدي: قالت وهي تطلق من الحبل – استحياءً من الناس: يا ليتني مِتُّ قبل هذا الكرب الذي أنا فيه، والحزن بولادتي المولود من غير بَعْل،

﴿وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾ نُسِيَ فتُرِك طلبه، كخِرَق الحيض إذا أُلقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر.

وكذلك كل شيء نُسِيَ وترك فهو نَسِيٌّ.

(1) قلت (المؤلف): في هذا الكلام نظر، لأن هذا شِرع من قبلنا، وقد أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى خير من ذلك، في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي، انظر صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب تمني الموت، حديث رقم (5671) وصحيح مسلم، كتاب الذكر، باب كراهية تمني الموت لضر نزل به، حديث رقم (2680).

وقال قتادة: ﴿وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾ أي: شيئاً لا يعرف، ولا يذكر، ولا يُدرى من أنا.

وقال الربيع بن أنس: ﴿وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾ هو السقط.

وقال ابن زيد: لم أكن شيئاً قط.

قال الله عز وجل: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾.

و) من الذي نادى مريم؟

اختلف المفسرون في المراد بذلك من هو؟

قال ابن عباس: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ جبريل، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها، وكذلك قال سعيد بن جبير، والضحاك، وعمرو بن ميمون، والسدي، وقتادة: إنه الملك جبرائيل عليه الصلاة والسلام،

أي: ناداها من أسفل الوادي.

وقال مجاهد: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ قال: عيسى ابن مريم، وكذا قال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة قال: قال الحسن: هو ابنها. وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير: أنه ابنها، وقد اختار هذا القول ابن زيد، وابن جرير في تفسيره.

قوله تعالى: ﴿أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾.

أي: ناداها قائلا لا تحزني.

سريا: هو الجدول. وهذا قول البراء بن عازب وعلي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: السريّ: هو النهر. وبه قال عمرو بن ميمون[1].

نهر تشرب منه.وقال مجاهد: هو النهر بالسريانية.

وقال سعيد بن جُبَيْر: السري: النهر الصغير بالنبطية.

وقال الضحاك: هو النهر الصغير بالسريانية.

وقال إبراهيم النَّخَعِي: هو النهر الصغير.

وقال قتادة: هو الجدول بلغة أهل الحجاز.

وقال وهب بن مُنَبِّه: السري: هو ربيع الماء.

وقال السدي: هو النهر، واختار هذا القول ابن جرير رحمه الله.

وقال آخرون: المراد بالسري هو عيسى عليه السلام.

وهو قال الحسن، والربيع بن أنس، ومحمد بن عَبَّاد بن جعفر. وهو إحدى الروايتين عن قتادة، وقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم،

والراجح هو القول الأول.

قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أي: وخذي إليك بجذع النخلة.

قيل: كانت يابسة، قاله ابن عباس. وقيل: مثمرة.

والظاهر أنها كانت شجرة، ولكن لم تكن في إبان ثمرها، وهو قول وهب بن منبه؛ ولهذا امتن عليها بذلك، أن جعل عندها طعاماً وشراباً، فقال: ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾.

(1) تفسير ابن كثير (ج190/3).

قوله: ﴿وَقَرِّي عَيْناً﴾ أي: طيبي نفساً؛

قال عمرو بن ميمون: ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب، ثم تلا هذه الآية الكريمة ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾.

وقال ابن أبي حاتم بسنده إلى علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خُلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام، وليس من الشجر شيء يُلَقَّح غيرها"[1].

ز) مريم صامتة لا تكلم أحداً:

هذا ما أمرها به الملك كما جاء في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً﴾.

أي: مهما رأيت من أحدٍ ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾.

المراد بهذا القول: الإشارة إليه بذلك. لا أن المراد به القول اللفظي؛ لئلا ينافي: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾.

قال أنس بن مالك في قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾

أي: صمتاً، وهو قول ابن عباس، والضحاك.

وفي رواية عن أنس: "صوماً وصمتاً"، وكذا قال قتادة وغيرهما.

---

(1) تفسير ابن كثير (ج190/3) والحديث رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم (455) مسند علي بن أبي طالب، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى، وفيه مسرور بن سعيد التميمي، وهو ضعيف، انظر مجمع الزوائد (ج89/5) حديث رقم (8306) وقال الشيخ الألباني رحمه الله: موضوع، انظر سلسلة الأحاديث- -الضعيفة والموضوعة (ج428/1) حديث رقم (263) وقال السخاوي في المقاصد الحسنة: فيه ضعف وانقطاع، انظر المقاصد الحسنة (ج146/1) وقال السيوطي في الدرر: ضعيف، انظر الدرر المنتثرة (ج194/1) قلت: وهذا أرجح، أي أنه ضعيف لا موضوع ، حيث أن الحكم بالوضع لا يقوى أمام قول الأئمة كالهيثمي والسخاوي والسيوطي القائلين بالضعف أهـ.

والمراد أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام.

وقال أبو إسحاق، عن حارثة قال:

كنت عند ابن مسعود، فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر،

فقال: ما شأنك؟

قال أصحابه: حلف ألا يكلم الناس اليوم.

فقال عبد الله بن مسعود: كلِّم الناس وسلم عليهم، فإنما تلك امرأة علمت أن أحدًا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج. يعني بذلك مريم، عليها السلام؛ ليكون عذرًا لها إذا سئلت[1].

ح ـ موقف بني إسرائيل من مريم وابنها:

عندما وضعت مريم طفلها، وهي في معزلٍ من قومها، ولم تكن بذات زوج، قص علينا القرآن الكريم ما حدث لها مع قومها.

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[2]

قال ابن كثير:

يقول تعالى مخبرًا عن مريم حين أمرت أن تصوم يومها ذلك، وألا تكلم أحدًا من البشر فإنها ستكفى أمرها ويقام بحجتها، فسلمت لأمر الله، عز وجل، واستسلمت لقضائه، وأخذت ولدها.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾

فلما رأوها كذلك، أعظموا أمرها واستنكروه جدًّا، وقالوا:

---

(1) تفسير ابن كثير (ج191/3).

(2) سورة مريم، الآيات (27 – 29).

﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي: أمرًا عظيمًا.

روى ابن أبي حاتم بسنده عن نوف البِكَاليّ قال:

وخرج قومها في طلبها، وكانت من أهل بيت نبوة وشرف. فلم يحسوا منها شيئًا، فرأوا راعي بقر فقالوا:

رأيت فتاة كذا وكذا نَعْتُها؟

قال: لا ولكني رأيت الليلة من بقري ما لم أره منها قط.

قالوا: وما رأيت؟

قال: رأيتها سُجَّدا نحو هذا الوادي.

وفي رواية قال: رأيت نورًا ساطعًا.

فتوجهوا حيث قال لهم،

فاستقبلتهم مريم، فلما رأتهم قعدت وحملت ابنها في حجرها، فجاءوا حتى قاموا عليها،

﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾[1]

أي: أمرًا عظيمًا.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾[2] أي: يا شبيهة هارون في العبادة.

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[3]

(1) سورة مريم، الآية (27).

(2) سورة مريم، الآية (28).

(3) سورة مريم، الآية (28).

أي: أنت من بيت طيب طاهر، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة، فكيف صدر هذا منك؟

قال السدي: قيل لها: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ أي: أخي موسى، وكانت من نسله كما يقال للتميمي: يا أخا تميم، وللمضري: يا أخا مضر.

وقيل: نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون، فكانت تقاس به في العبادة، والزهادة[1].

ط) مريم تشير إلى ابنها ليرد على قومها:

لما طُلب من مريم عدم الكلام مع أحد، فكان ردها ما قصه الله تعالى حيث قال: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[2]

أي أنهم لما استرابوا في أمرها واستنكروا قضيتها، وقالوا لها ما قالوا مُعرِّضين بقذفها ورميها بالفِرية، وقد كانت يومها ذلك صائمة صامتةً فأحالت الكلام عليه، وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه

فقالوا متهكمين بها، ظانين أنها تزدري بهم وتلعب بهم:

﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

قال ميمون بن مِهْران: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ قالت: كلموه.

فقالوا: على ما جاءت به مِن الداهية، تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبيا.

---

(1) تفسير ابن كثير (ج192/3).

(2) سورة مريم، الآية (29).

وقال السدي:

لما أشارت إليه غضبوا، وقالوا:

لَسُخْرِيَتُها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها.

﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾

أي: من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره، كيف يتكلم[1]؟

ي – عيسى يتكلم في المهد:

لقد أثار رد مريم على قومها حين أشارت إلى رضيعها ليكلموه، أثار اشمئزاز القوم وغضبوا لذلك، وظنوا أن مريم تهزأ بهم، وتسخر من عقولهم، فكان الرد مدهشاً، والرد عجيباً ومعجزاً.

لقد نطق الصبي في مهده قائلاً: "قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾[2]

أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأ الله عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه.

وقوله: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[3]

تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة.

قال نوف البكالي: لما قالوا لأمه ما قالوا، كان يرتضع ثديه،

فنزع الثدي من فمه، واتكأ على جنبه الأيسر، وقال:

﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

---

(1) تفسير ابن كثير، (ج192/3).

(2) سورة مريم، الآية (30).

(3) سورة مريم، الآية (30).

وقال حماد بن سلمة، عن ثابت البُنَاني:

رفع إصبعه السبابة فوق منكبه، وهو يقول: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ الآية.

وقال عكرمة: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ أي: قضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى.

وقال ابن أبي حاتم بسنده إلى أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال:

كان عيسى ابن مريم قد درس الإنجيل وأحكمها في بطن أمه، فذلك قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

وهذا الأثر ضعفه الحافظ ابن كثير، وقال: فيه يحيى بن سعيد العطار الحمصي: متروك(1).

ثم قال تعالى على لسان عيسى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾

أي وجعلني معلماً للخير. قاله مجاهد وعمرو بن قيس والثوري،

وعن مجاهد: نَفَّاعًا.

قال ابن جرير:

لقي عالمٌ عالمًا هو فوقه في العلم،

فقال له: يرحمك الله، ما الذي أُعلن من عملي؟

قال: الأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر؛ فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده، وقد أجمع الفقهاء على قول الله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ وقيل: ما بركته؟

قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أينما كان.

(1) تفسير ابن كثير (ج194/3)، قال الحافظ ابن حجر: يحيى العطار ضعيف (التقريب ترجمة 7558) .

وقوله: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾

وهذا كقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[1].

وعن عبد الرحمن بن القاسم، عن مالك بن أنس في قوله: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ قال: أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت.

وقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾[2]

أي: وأمرني ببر والدتي، ذكره بعد طاعة الله ربه؛ لأن الله تعالى كثيرًا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين،

كما قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[3]

وقال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[4]

وقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[5]

أي: ولم يجعلني جبارًا مستكبرًا عن عبادته وطاعته وبر والدتي، فأشقى بذلك.

قال سفيان الثوري: الجبار الشقي: الذي يقبل على الغضب.

وقال بعض السلف: لا تجد أحدًا عاقًا لوالديه إلا وجدته جبارًا شقيًا، ثم قرأ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾

---

(1) سورة الحجر، الآية (99).
(2) سورة مريم، الآية (32).
(3) سورة الإسراء، الآية (23).
(4) سورة الإسراء، الآية (23).
(5) سورة لقمان، الآية (14).

قال قتادة: ذُكِرَ لنا أن امرأةً رأت ابن مريم، يُحْيِي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، في آياتٍ سلطه الله عليهن، وأذن له فيهن،

فقالت: طوبى للبطن الذي حملك، وطوبى للثدي الذي أُرضعت به،

فقال نبي الله عيسى، عليه السلام، يجيبها: طوبى لمن تلا كلام الله، فاتبع ما فيه ولم يكن جبارًا شقيًّا[1].

وقوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[2]

قال ابن كثير في تفسيره: وفي هذا إثبات منه لعبوديته لله عز وجل، وأنه مخلوق من خلق الله، يحيا ويموت ويُبْعث كسائر الخلائق،

ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد، صلوات الله وسلامه عليه[3].

وقال الطبري في تفسيره:

يقول: والأمنة من الله عليّ من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا مني ما ينالون ممن يولد عند الولادة، من الطعن فيه، ويوم أموت، من هول المطلع، ويوم أبعث حيا يوم القيامة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس بمعاينتهم أهوال ذلك اليوم[4].

---

(1) تفسير الطبري، (ج18/192).

(2) سورة مريم، الآية (33).

(3) تفسير ابن كثير (ج3/ 194)، وانظر تفسير القرطبي ،(ج11/105) .

(4) جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م (ج18/ 193).

ك) عقيدة المسلمين بعيسى وأنه عبدالله ورسوله:

الله عز وجل منزه عن الزوجة، وعن الولد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وعيسى بن مريم، عبدالله ورسوله، وخَلْقٌ من خلق الله ، ورسولٌ من رسله، يولد ويحيى وينشأ، ثم يموت، ثم يبعث يوم القيامة للحساب، كغيره من الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]

قال ابن كثير:

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه:

ذلك الذي قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام ﴿قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يختلف المبطلون والمحقون ممن آمن به وكفر به؛

ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبدًا نبيًّا، نزه نفسه المقدسة فقال: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾[2] أي: عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علوًّا كبيرًا.

﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3] أي: إذا أراد شيئًا فإنما يأمر به، فيصير كما يشاء،

---

(1) سورة مريم، الآيات، (34 – 37).

(2) سورة مريم، الآية، (35).

(3) سورة مريم، الآية، (35).

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[1]

وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[2]

أي: ومما أمر عيسى به قومه وهو في مهده، أنْ أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربه، وأمرهم بعبادته،

فقال: ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

أي: هذا الذي جئتكم به عن الله صراط مستقيم، أي: قويم، من اتبعه رشد وهدي، ومن خالفه ضل وغوى.

ل) اختلاف الناس في عيسى عليه السلام:

لقد اختلف الناس في حقيقة عيسى بن مريم فقال تعالى:

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3]

قال ابن كثير في تفسيره:

اختلفت أقوال أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله،

وأنه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه،

اختلفوا إلى طوائف منها:

الطائفة الأولى: وهم جمهور اليهود، عليهم لعائن الله – صمموا على أنه ولد زنْيَة، وقالوا: كلامه هذا سحر.

---

(1) سورة آل عمران، الآيات، (59 – 60).

(2) سورة مريم، الآية، (36).

(3) سورة مريم، الآية، (37).

الطائفة الثانية: قالوا: إنما تكلم الله.

الطائفة الثالثة: قالوا: هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الطائفة الرابعة: قالوا: هو ثالث ثلاثة.

الطائفة الخامسة: قالوا: هو عبد الله ورسوله. وهذا هو قول الحق، الذي أرشد الله إليه المؤمنين[1].

قال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن قتادة في قوله:

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[2]

قال: اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر، أخرج كل قوم عالمهم، فامتروا في عيسى حين رفع،

فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا، وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم اليعقوبية.

فقال الثلاثة: كذبت.

ثم قال اثنان منهم للثالث: قل أنت فيه،

قال: هو ابن الله، وهم النسطورية.

فقال الإثنان: كذبت.

ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه.

قال: هو ثالث ثلاثة: الله إله، وهو إله، وأمه إله، وهم الإسرائيلية ملوك النصارى.

---

(1) تفسير ابن كثير (ج195/3).

(2) سورة مريم، الآية (34).

قال الرابع: كذبت، بل هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته، وهم المسلمون.

فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قالوا، فاقتتلوا فظهروا على المسلمين، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾[1].[2]

وقد روى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس، وعن عروة بن الزبير، وعن بعض أهل العلم، قريبًا من ذلك. وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم:

أن قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم، فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفًا،

فاختلفوا في عيسى ابن مريم، عليه السلام، اختلافًا متباينًا،

فقالت كل شرذمة فيه قولاً فمائة تقول فيه قولاً، وسبعون تقول فيه قولاً آخر، وخمسون تقول فيه شيئًا آخر، ومائة وستون تقول شيئًا، ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلاثمائة وثمانية منهم، اتفقوا على قول وصَمَّموا عليه، ومال إليهم الملك، وكان فيلسوفًا،

فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم، فوضعوا له الأمانة الكبيرة، بل هي الخيانة العظيمة، ووضعوا له كتب القوانين، وشرَّعوا له أشياء، وابتدعوا بدعًا كثيرة، وحَرَّفوا دين المسيح، وغيروه، فابتنى حينئذ لهم الكنائس الكبار في مملكته كلها: بلاد الشام، والجزيرة، والروم، فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثنتي عشرة ألف كنيسة،

---

(1) سورة آل عمران، الآية (21).

(2) انظر تفسير ابن كثير، (ج195/3).

وبنت أمه هيلانة قُمَامة على المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي تزعم اليهود والنصارى أنه المسيح، وقد كذبوا، بل رفعه الله إلى السماء[1].

ي) الله تعالى يهدد من زعم أن له ولداً:

من أعظم الشرك أن يزعم العبد أن لله ولداً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال تعالى مهدداً ومتوعداً من كذب عليه وزعم أن له ولداً:

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2]

تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله، وافترى، وزعم أن له ولدا.

ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حلمًا وثقة بقدرته عليهم؛ فإنه الذي لا يعْجل على من عصاه،

كما جاء في الصحيحين: فقد روى الإمام البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته).

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[3]

وروى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن قيس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، إنهم يجعلون له نداً، ويجعلون له ولداً، وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم) [4].

---

(1) انظر تفسير ابن كثير، (ج196/3).

(2) سورة مريم، الآية (37).

(3) انظر تفسير ابن كثير (ج196/3) والآية رقم (102) من سورة هود، والحديث رواه البخاري في الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) حديث رقم (4648).

(4) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لا أحد أصبر على أذى من الله، حديث رقم (2804).

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[2].

قال ابن كثير[3]:

ولهذا قال هاهنا: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

أي: يوم القيامة،

وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته، عن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل[4]،

ونحن نشهد بذلك، ونستودعه هذه الشهادة، ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون

م) ما هو دين عيسى عليه السلام:

الإسلام هو الدين الذي أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله، والإسلام هو الدين المقبول عند الله عز وجل، ومن ابتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[5]

وأما من اختار ديناً غير الإسلام فما حاله؟

---

(1) سورة الحج، الآية (48).

(2) تفسير ابن كثير، (ج196/3).

(3) سورة إبراهيم، الآية (42).

(4) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) حديث رقم (3435) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، من لقي الله بالإيمان، حديث (28).

(5) سورة آل عمران، الآية (19).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]

وكل الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله عز وجل جاؤوا بالإسلام، وبعثوا به، ومنهم:

1) إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]

2) ابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3]

3) يعقوب عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[4]

4) آباء يعقوب وأولاده:

قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[5]

---

(1) سورة آل عمران، الآية (85).

(2) سورة آل عمران، الآية (67).

(3) سورة البقرة، الآيات (123 – 128).

(4) سورة البقرة، الآية (132).

(5) سورة البقرة، الآية (133).

5) يوسف عليه السلام:

قال تعالى على لسان يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[1]

6) سليمان وملكة سبأ:

قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]

7) موسى عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾.[3]

8) سحرة فرعون الذين آمنوا بالله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[4]

9) قساوسة أهل الكتاب الذين بعثهم النجاشي لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾[5]

---

(1) سورة يوسف، الآية (101).

(2) سورة النمل، الآية (44).

(3) سورة يونس، الآية (84).

(4) سورة الأعراف، الآية (126).

(5) سورة القصص، الآيات (52 – 53).

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[1]

يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾[2]

قال سعيد بن جبير: نزلت في سبعين من القسيسين، بعثهم النجاشي، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم ﴿يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ حتى ختمها.

فجعلوا يبكون وأسلموا، ونزلت فيهم هذه الآية الأخرى.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾[3]

يعني من قبل هذا القرآن كنا مسلمين، أي: مستسلمين موحدين مخلصين لله، مستجيبين له.

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾[4]

أي هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول، ثم الثاني، ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ بإيمانهم بالرسول الأول، ثم الثاني، ولهذا قال: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾.

---

(1) سورة القصص، الآيات (54 – 55).

(2) سورة آل عمران، الآية (199).

(3) سورة القصص، الآية (52– 53).

(4) سورة القصص، الآيات (54 – 55).

أي على اتباع الحق؛ فإنّ تجشم مثل هذا شديد على النفوس. [1]

10)عيسى عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2]

فالحواريون مسلمون، وقد اتبعوا الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام، وهو الإسلام.

وليس هؤلاء الذين ذكرناهم فقط هم المسلمون، بل كل نبي بعثه الله من لدن آدم عليه السلام، إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء والمرسلين، كلهم مسلمون، جاؤوا بالإسلام من عند الله عز وجل.

بل كل ما في هذا الكون حتى أهل السماء وهم الملائكة الأبرار، وأهل الأرض مسلمون موحدون لله عز وجل.

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[3]

ن) معجزات عيسى عليه السلام:

حيث بعث الله كل نبي من الأنبياء وأيده بما يناسب أهل زمانه من المعجزات.

---

(1) تفسير ابن كثير، (ج3 / 628).

(2) سورة آل عمران، الآية (52).

(3) سورة آل عمران، الآية (83).

فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل سحّار، فلما استيقنوا أنها من العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار.

وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمان الأطباء، وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة.

فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداوة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد.

وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم بُعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، لم يستطيعوا أبداً، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وما ذاك إلا لأن كلام الله تعالى لا يشبه كلام الخلق أبداً.

وقد أوضح الله تعالى في القرآن الكريم معجزات عبده ورسوله عيسى عليه السلام فقال تعالى:

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1]

(1) سورة آل عمران، الآيات (48 – 49).

أقوال علماء التفسير في معجزات عيسى عليه السلام:

يقول تعالى مخبراً عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى عليه السلام أن الله يعلمه الكتاب والحكمة.

والظاهر أن المراد بالكتاب هاهنا الكتابة[1].

والمراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق، لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به، ومجموعهما هو المسمى بالحكمة، ثم بعد أن صار عالماً بالخط والكتابة، ومحيطاً بالعلوم العقلية والشرعية، يعلمه التوراة، وإنما أخر تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة، لأن التوراة كتاب إلهي، وفيه أسرار عظيمة، والإنسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث على أسرار الكتب الإلهية،

ثم قال في المرتبة الرابعة "والإنجيل"، وإنما أخر ذكر الإنجيل عن ذكر التوراة لأن من تعلم الخط، ثم تعلم علوم الحق، ثم أحاط بأسرار الكتاب الذي أنزله اللّه تعالى على من قبله من الأنبياء، فقد عظمت درجته في العلم، فإذا أنزل اللّه تعالى عليه بعد ذلك كتاباً آخر وأوقفه على أسراره فذلك هو الغاية القصوى، والمرتبة العليا في العلم، والفهم والإحاطة بالأسرار العقلية والشرعية، والاطلاع على الحِكَم العلوية والسفلية[2].

"وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ" فالتوراة: هو الكتاب الذي أنزله الله على موسى بن عمران. والإنجيل: الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام،

وقد كان عيسى عليه السلام، يحفظ هذا وهذا.

---

(1) تفسير ابن كثير، سورة آل عمران، (ج2/ 37)، وانظر تفسير القرطبي ، ج93/4.

(2) تفسير مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، 1420هـ، (ج226/8).

وقوله: ﴿وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

أي يجعله رسولا إلى بني إسرائيل، قائلا لهم: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وكذلك كان يفعل:

يُصَوّر من الطين شكل طير، ثم ينفخُ فيه، فيطير عياناً بإذن الله، عز وجل، الذي جعل هذا معجزة يَدُلّ على أن الله أرسله[1].

قال الإمام الفخر الرازي:

قوله تعالى ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[2]

اعلم أنه تعالى حكى هاهنا خمسة أنواع من معجزات عيسى عليه السلام:

أني أخلق لكم من الطين، معناه: أصور وأقدر، وقوله كهيئة الطير، فالهيئة الصورة المهيئة من قولهم: هيأت الشيء إذا قدرته.

وقوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ أي: في ذلك الطين.

وقوله: ﴿فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيه مسائل:

يروى أن عيسى عليه السلام لما ادّعى النبوة، وأظهر المعجزات أخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش، فأخذ طيناً وصوره، ثم نفخ فيه، فإذا هو يطير بين السماء والأرض.

قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً.

---

(1) تفسير ابن كثير، سورة آل عمران (ج2/37).

(2) سورة آل عمران، الآية (49).

ثم اختلف الناس فقال قوم: إنه لم يخلق غير الخفاش.

وقال آخرون: إنه خلق أنواعاً من الطير.

المسألة الثانية: هل يجوز أن يقال: إنه تعالى أودع في نفس عيسى عليه السلام خاصية، بحيث متى نفخ في شيء كان نفخه فيه موجباً لصيرورة ذلك الشيء حياً؟

أو يقال: ليس الأمر كذلك بل اللّه تعالى كان يخلق الحياة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخة عيسى عليه السلام فيه على سبيل إظهار المعجزات، وهذا الثاني هو الحق لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾[1].

قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾:

وإنما ذكر عيسى عليه السلام هذا القيد إزالة للشبهة، وتنبيهاً على أني أعمل هذا التصوير، فأما خلق الحياة فهو من اللّه تعالى على سبيل إظهار المعجزات على يد الرسل.

واما النوع الثاني والثالث والرابع من المعجزات فهو قوله:

﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

ذهب أكثر أهل اللغة إلى أن الأكمه هو الذي ولد أعمى،

وقال الخليل وغيره: هو الذي عمي بعد أن كان بصيراً.

وعن مجاهد: هو الذي لا يبصر بالليل.

وروي أنه عليه السلام ربما اجتمع عليه خمسون ألفاً من المرضى من أطاق منهم أتاه ، ومن لم يطق أتاه عيسى عليه السلام.

(1) سورة الملك، الآية (2) وانظر تفسير الرازي (ج229/8).

وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده.

قال الكلبي:

كان عيسى عليه السلام يحيي الأموات بـِ (يا حي يا قيوم).

وأحيا رجل اسمه "عاذر"، وكان صديقاً له،

ودعا سام بن نوح من قبره، فخرج حياً،

ومرّ على ابن ميت لعجوز فدعا اللّه، فنزل عن سريره حياً، ورجع إلى أهله وولد له،

وقوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رفع لتوهم من اعتقد فيه الإلهية[1].

وأما النوع الخامس من المعجزات:

إخباره عن الغيوب فهو قوله تعالى حكاية عنه: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾.

في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنه عليه الصلاة والسلام كان من أول مرة يخبر عن الغيوب.

روى السدي:

أنه كان يلعب مع الصبيان، ثم يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم، وكان يخبر الصبي بأن أمك قد خبأت لك كذا، فيرجع الصبي إلى أهله ويبكي إليّ أن يأخذ ذلك الشيء ثم قالوا لصبيانهم: لا تلعبوا مع هذا الساحر،

وجمعوهم في بيت، فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم،

(1) تفسير الرازي، مرجع سابق (ج8/229).

فقالوا له: ليسوا في البيت.

فقال: فمن في هذا البيت.

قالوا : خنازير.

قال عيسى عليه السلام: كذلك يكونون، فإذا هم خنازير[1].

القول الثاني: إن الإخبار عن الغيوب إنما ظهر وقت نزول المائدة، وذلك لأن القوم نُهوا عن الادخار، فكانوا يخزنون ويدخرون،

فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بذلك.

والإخبار عن الغيوب على هذا الوجه معجزة، وذلك لأن المنجمين الذين يدعون استخراج الخير لا يمكنهم ذلك إلا عن سؤال يتقدم ثم يستعينون عند ذلك بآلة ويتوصلون بها إلى معرفة أحوال الكواكب ، ثم يعترفون بأنهم يغلطون كثيراً.

فأما الإخبار عن الغيب من غير استعانة بآلة، ولا تقدم مسألة لا يكون إلا بالوحي من اللّه تعالى.

ثم إنه عليه السلام ختم كلامه بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. والمعنى إن في هذه الخمسة لمعجزة قاهرة قوية، دالة على صدق المدعي لكل من آمن بدلائل المعجزة في الحمل على الصدق[2].

س) رفع عيسى عليه السلام إلى السماء:

لقد وردت الآيات ببيان حقيقة رفع عيسى إلى السماء.

---

(1) تفسير الرازي (ج229/8).

(2) مفاتح الغيب، الفخر الرازي (ج229/8).

فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159)﴾[2].

ع) حقيقة رفع المسيح عليه السلام:

قال ابن كثير:

"وكان من خبر اليهود – عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه – أنه لما بَعَثَ الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات.

التي كان يبرئ بها الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويصور من الطين طائرًا ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا يُشاهَدُ طيرانه بإذن الله، عز وجل، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها وأجراها على يديه، وَمع هذا كذبوه وخالفوه، وسَعَوْا في أذاه بكل ما أمكنهم،

حتى جعل نبي الله عيسى عليه السلام، لا يساكنهم في بلدة، بل يُكثر السياحة هو وأمه، عليهما السلام، ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في

(1) سورة آل عمران، الآية (55).

(2) سورة النساء، الآية (155 – 159).

ذلك الزمان – وكان رجلا مشركًا من عبدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته (اليونان) وأنهوا إليه:

أن ببيت المقدس رجلا يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه. فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه، ويكف أذاه على الناس.

فلما وصل الكتاب امتثل مُتَولِّي بيت المقدس ذلك، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام، وهو في جماعة من أصحابه، اثنا عشر أو ثلاثة عشر – وقيل: سبعة عشر نفرًا –

وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصروه هنالك.

فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه، أو خروجه عليهم قال لأصحابه:

أيكم يُلْقَى عليه شبهي، وهو رفيقي في الجنة؟

فانتَدَب لذلك شاب منهم،

فكأنه استصغره عن ذلك،

فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا يَنْتَدِبُ إلا ذلك الشاب.

فقال: أنت هو، وألقى اللهُ عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو،

وفُتِحَت رَوْزَنَة من سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سِنةٌ من النوم،

فرفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

فلما رُفِعَ خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، فأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك،

وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت(1).

وهذا كله من امتحان الله عباده؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وقد أوضح الله الأمر وجلاه وبينه وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم، المؤيد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات،

فقال تعالى:

وهو أصدق القائلين، ورب العالمين، المطلع على السرائر والضمائر، الذي يعلم السر في السموات والأرض، العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: رأوا شبهه فظنوه إياه؛

ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾

يعني بذلك: من ادعى قتله من اليهود، ومن سلَّمه من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسُعُر.

ولهذا قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

(1) تفسير ابن كثير، (ج873/1).

أي: منيع الجناب لا يرام جنابه، ولا يضام من لاذ ببابه.

﴿حَكِيمًا﴾ أي: في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والسلطان العظيم، والأمر القديم[1].

رواية ثانية ذكرها ابن كثير في خبر رفع عيسى، وصحح إسنادها حيث قال: روى ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس قال:

لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء، خرج على أصحابه – وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين – يعني: فخرج عليهم من عين في البيت، ورأسه يقطر ماءً،

فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة، بعد أن آمن بي.

ثم قال: أيكم يُلْقَى عليه شبهي، فيُقْتَل مكاني ويكون معي في درجتي؟

فقام شاب من أحدثهم سنا،

فقال له: اجلس.

ثم أعاد عليهم فقام ذلك الشاب،

فقال: اجلس. ثم أعاد عليهم

فقام الشاب فقال: أنا.

فقال: أنت هو ذاك. فأُلْقِيَ عليه شَبَه عيسى وَرُفِعَ عيسى من رَوْزَنَة في البيت إلى السماء.

قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه، ثم صلبوه وكَفَرَ به بعضهم اثنتي عشرة مرة، بعد أن آمن به،

(1) تفسير ابن كثير، (ج873/1) تفسير سورة النساء.

وافترقوا ثلاث فرق:

فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء. وهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء، ثم رفعه الله إليه.

وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة، فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم.

قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ورواه النسائي عن أبي كُرَيب، عن أبي معاوية، بنحوه. وكذا ذكر غير واحد من السلف أنه قال لهم: أيكم يُلقى عليه شبهي فيقتلَ مكاني، وهو رفيقي في الجنة؟[1]

ف) نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان:

لقد تواترت النصوص الشرعية قرآن وسنة على أن عيسى بن مريم عليه السلام سينزل في آخر الزمان، ويُعد نزول عيسى عليه السلام من علامات الساعة الكبرى.

دلالة القرآن الكريم على نزول عيسى عليه السلام:

ومن هذه الآيات التي تشير إلى نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، قوله تعالى:

1_ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (57) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (59) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً

(1) تفسير ابن كثير، (ج874/1) وانظر تفسير الطبري (ج9/ 370) والدر المنثور (ج728/2).

فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (60) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾

قال ابن كثير: المراد بذلك نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة، قال: ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: ﴿وإنه لعَلَم للساعة﴾ أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة.

وقال مجاهد: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة. وهكذا روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم[2].

2_ قول تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[3].

والشاهد في الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾

فإن أكثر المفسرين على أن معنى ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به يعني بعيسى، (قبل موته) يعني قبل موت عيسى، يوجه ذلك أن جميعهم

---

(1) سورة الزخرف، الآيات (57 – 61).

(2) تفسير ابن كثير، (ج201/4) وانظر تفسير الطبري (ج21/ 631) وتفسير القرطبي (ج105/16) والدر المنثور (ج385/7).

(3) سورة النساء، الآيات (157 – 158).

يصدقون به إذا نزل لقتال الدجال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية، دين إبراهيم عليه السلام.

وقد ورد هذا القول عن كبار علماء التفسير، ومنهم:

1-حبر الأمة، عبدالله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: قبل موت عيسى بن مريم، وقال العوفي عن ابن عباس، مثل ذلك.

2-وقال أبو مالك في قوله: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: ذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به.

3-وقال الضحاك عن ابن عباس : (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) يعني: اليهود خاصة.

4-وقال الحسن البصري: يعني النجاشي وأصحابه.

5-وقال ابن جرير بسنده إلى الحسن: (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) قال: قبل موت عيسى. والله إنه الآن حي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

قال ابن كثير: وهذا القول هو الحق، كما سنبينه بعد بالدليل القاطع، إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان [1].

3) قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ

(1) تفسير ابن كثير، (ج876/1) وانظر تفسير الطبري (ج9/ 379) وتفسير القرطبي (ج11/6) والدر المنثور (ج734/2).

وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1].

الشاهد في هذه الآية الكريمة قوله تعالى: (وَكَهْلًا) ومعلوم أن عيسى عليه السلام رُفِعَ وعمره ثلاث وثلاثين سنة، أي في ريعان شبابه، والآية تدل على أنه سيعود إلى الأرض ويكمل عمره، ويصبح كهلاً، لأنه رفع إلى السماء قبل أن يبلغ الكهولة،

ص - دلالة الأحاديث النبوية الشريفة على نزول عيسى عليه السلام:

لقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن عيسى بن مريم سينزل في آخر الزمان حكماً عدلاً مقسطاً، وكذلك اعتبر نزوله علامة من علامات الساعة الكبرى، ومن هذه الأحاديث:

أ- روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ) [2].

ب-وروى الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال:

اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر،

فقال:(ما تذاكرون).

(1) سورة المائدة، الآية (110).

(2) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، حديث رقم (2222) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم، حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (155).

قالوا: نذكر الساعة.

قال:(إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات). فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم -صلى الله عليه وسلم- ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم(1).

ج-روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

الأنبياء إخوةٌ لِعَلّات دينهم واحد وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، سبط كأن رأسه يقطر، وان لم يصبه بلل، بين ممصرتين، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويعطل الملل، حتى يُهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الآمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأُسد جميعاً والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا فيمكث ما شاء الله ان يمكث ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه(2).

ولقد سقنا هذا الحديث بتمامه للوقوف على الشاهد في هذا الحديث وهو قوله (صلى الله عليه وسلم): " وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه " .

(1) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، حديث رقم (2901).

(2) مسند أحمد (15/ 398) مسند أبي هريرة، رضي الله عنه، وانظر صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب ذكر البيان بأن عيسى بن مريم إذا نزل يقاتل الناس على الإسلام، حديث رقم (6821) وهذا حديث صحيح.

ق) فضائل عيسى عليه السلام:

هناك الكثير من الفضائل لنبي الله عيسى عليه االسلام بينها النبي (صلى الله عليه وسلم) في أحاديثه الشريفة، منها:

1_ ما روى الإمام مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) قال: (ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه).

ثم قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1]

2- وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا أولى الناس بابن مريم، الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبى)[2].

3-وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:

" رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق ، فقال له عيسى : سرقت؟ قال : كلا والذى لا إله إلا هو.

فقال عيسى : آمنت بالله وكذبت نفسى "[3].

4_ روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ثُمَّ قَالَ:(أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟

---

(1) سورة آل عمران، الآية: (36) وانظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، حديث (2366).

(2) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، حديث (2365).

(3) المرجع نفسه، حديث (2368).

يُجْمَعُ النَّاسُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ، وَلاَ يَحْتَمِلُونَ.

فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟

فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ.

فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ لَهُ:

أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟

فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي ، عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي.

اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى،

فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى بن مريم.

فَيَأْتُونَ عِيسَى.

فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إلى ربك، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم،

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِيت َحْتَ الْعَرْشِ.

فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي،

ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ،

فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ،

وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى[1].

وقد ظهرت فضيلة عيسى عليه السلام في هذا الحديث حيث أنه لم يذكر ذنباً.

ر) قصة مائدة الحواريين:

وسوف أقوم بعرض هذه القصة كما وردت في القرآن الكريم، وأقوال علماء التفسير في بيان ذلك.

قال الله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113)قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[1].

هذه هي قصة المائدة:

---

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن باب (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً) حديث رقم (4713) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (194).

(1) سورة المائدة، الآيات (112 - 115).

وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى عليه السلام، لما أجاب دعاءه بنزولها، فأنزلها الله آية ودلالة ومعجزة باهرة، وحجة قاطعة.

وقد ذكر بعض الأئمة أن قصة المائدة ليست مذكورة في الإنجيل، ولا يعرفها النصارى، إلا من المسلمين، فالله أعلم.

فقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ هم أتباع عيسى عليه السلام.

﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ أي هل تستطيع أن تسأل ربك ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ .

والمائدة: هي الخوان عليه الطعام، وذكر بعضهم أنهم سألوا ذلك لحاجتهم وفقرهم، فسألوا أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها، ويتقوون بها على العبادة[1].

قال: (اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

أي: فأجابهم المسيح عليه السلام، قائلا لهم: اتقوا الله، ولا تسألوا هذا، فعساه أن يكون فتنة لكم، وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين.

(قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا) أي: نحن محتاجون إلى الأكل منها.

(وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا) إذا شاهدنا نزولها رزقًا لنا من السماء.

(وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا) أي: ونزداد إيمانًا بك وعلمًا برسالتك،

(وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ) أي: ونشهد أنها آية من عند الله، ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به.

---

(1) تفسير ابن كثير، (ج2/ 187) وانظر تفسير الطبري (ج11/ 218) وتفسير روح البيان (ج2/ 462) وفتح القدير للشوكاني (ج2/107).

(قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا).

قال السُّدِّي: أي نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدًا نعظمه نحن ومَنْ بعدنا،

وقال سفيان الثوري: يعني يومًا نصلي فيه.

وقال قتادة: أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم.

وعن سلمان الفارسي: عظة لنا ولمن بعدنا.

وقيل: كافية لأولنا وآخرنا.

(وَآيَةً مِنْكَ) أي: دليلا تنصبه على قدرتك على الأشياء، وعلى إجابتك دعوتي، فيصدقوني فيما أبلغه عنك.

(وَارْزُقْنَا) أي: من عندك رزقًا هنيئًا بلا كلفة ولا تعب (وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ).

(قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ)

أي: فمن كذب بها من أمتك يا عيسى وعاندها.

(فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)

أي: من عالمي زمانكم.

وقد روى ابن جرير بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون[1].

ذكر أخبار رويت عن السلف في نزول المائدة على الحواريين:

(1) تفسير ابن كثير، (ج2/ 188) وتفسير الطبري (ج11/ 233).

قال أبو جعفر بن جرير الطبري بسنده إلى ابن عباس: أنه كان يحدث عن عيسى ابن مريم أنه قال لبني إسرائيل.

هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يومًا، ثم تسألوه فيعطيكم ما سألتم؟

فإن أجرَ العامل على من عمل له.

ففعلوا، ثم قالوا: يا معلِّم الخير، قلت لنا:إن أجر العامل على من عمل له.

وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يومًا، ففعلنا، ولم نكن نعمل لأحدٍ ثلاثين يومًا إلا أطعمنا حين نفرُغ طعامًا، فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟

قال عيسى:(قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113)قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)[1]

قال: فأقبلت الملائكة تطير بمائدةٍ من السماء عليها سبعةُ أحواتٍ وسبعة أرغفة، حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم[1].

ش) أجر من آمن بعيسى ثم آمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم):

لقد وردت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة في بيان أجر من آمن برسوله من اليهود والنصارى ثم آمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم)، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب.

---

(1) سورة المائدة، الآيات (112 - 115).

(1) تفسير ابن كثير (ج2/188) وانظر تفسير الطبري (ج11/ 222).

ومن أراد الله به خيراً هداه إلى هذا الدين العظيم، والشرع القويم.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾[1]

وقد بين الله تعالى أن أقرب الناس لأهل الإيمان المسلمون هم النصارى حيث قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[1].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة:

1) ما ورد في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ، الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الأَمَةُ فَيُعَلِّمُهَا فَيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا، وَيُؤَدِّبُهَا فَيُحْسِنُ أَدَبَهَا، ثُمَّ يُعْتِقُهَا

---

(1) سورة الأنعام، الآية (125).

(2) سورة المائدة، الآيات (82 – 85).

(1) سورة القصص، الآيات (52 – 55).

فَيَتَزَوَّجُهَا فَلَهُ أَجْرَانِ، وَمُؤْمِنُ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِي كَانَ مُؤْمِنًا، ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالْعَبْدُ الَّذِي يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ وَيَنْصَحُ لِسَيِّدِهِ) [1].

2) وروى الإمام البخاري عن عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ) [2].

3) وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء " [1].

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين .

انتهت بحمد الله تعالى

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتاب، حديث رقم (3011) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) حديث رقم (154).

(2) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، قوله: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)، حديث رقم (3435).

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب :(من لقي الله بالإيمان، وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار) ، حديث رقم (28).

الخاتمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ،

اللهم صلِّ على محمد كلما ذكره الذاكرون ، وصلِّ عليه كلما غفل عن ذكره الغافلون.

وبعد :

فإن الدعوة إلى الله تعالى مستمرة في هذه الأمة؛ لتحقيق شرطيّ خيريتها، المتمثلة في قوله تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

واتباعاً لأمر نبينا صلى الله عليه وسلم القائل: (بلغوا عني ولو آية) [2].

وانطلاقاً من هذه المسؤولية العظيمة وابتغاء نيل رضوان الله عز وجل، وعملاً بقوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[3]

جاء سياق هذا الكتاب ليكون رسالة محبة وخطاب دعوة إلى الأمة الأوروبية، والتي يبلغ تعدادها (500) مليون نسمة، لفهم هذا الدين العظيم من مصدره الصافي، القرآن والسنة، ثم اعتناق هذا الدين عن محبة له، وقناعة به.

---

(1) سورة آل عمران، الآية (110).

(2) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (3461).

(3) سورة الأعراف، الآية (164).

وقد جاء هذا الكتاب ليؤكد الحقائق التالية:

1- أن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله عز وجل وأنه ناسخ لما قبله من الشرائع .

2-إن الله بعث جميع الأنبياء والرسل بالإسلام، دين التوحيد من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد (صلى الله عليه وسلم)، مروراً بموسى وعيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام.

3-إن العلماء الربانيين من أهل الكتاب شهدوا لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة بعد أن تأكدوا وتيقنوا أن الصفات الموجودة في التوراة والإنجيل تنطبق عليه أتم انطباق.

4-بيان أن الإسلام هو دين الفطرة ، وبه تتحقق الطمأنينة والسعادة في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة .

5-أن ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من معجزات ــ وخاصة القرآن الكريم ــ دليلاً قاطعاً على صدق نبؤته وصدق رسالته.

6-بيان ما كانت عليه مريم ابنة عمران، من العفة والطهارة، وعظيم عبادتها لربها وتبرئتها مما نسبه لها يهود من الفرية.

7-بيان أن عيسى بن مريم عبدالله ورسوله، شأنه شأن أي نبي آخر، خلقه بـــ (كن فيكون) وأمه صديقة ، عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام .

8-تنزيه الله جل جلاله عن الزوجة والولد، واعتبار من ينسب ذلك لله شرك أكبر، وأنه من عظائم الذنوب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ

الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95)﴾[1]

9-عظيم أجر من يعتنق الإسلام من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وأن الله يؤتيه أجره مرتين، ويدخله الجنة على ما كان من عمل.

وأخيراً فإن ما تقدم من أهم المسائل التي أبرزها هذا الكتاب، وإن احتوى على مسائل جوهرية أخرى سيكتشفها من يطالع صفحات هذا الكتاب فلعلها تحدث في نفسه أثراً تنقله من الظلمات إلى النور.

سائلاً الله عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب كل من يبحث عن الدين الحق، في كل أرجاء الأرض، وأن يهدي به العباد، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فإن أحسنت فمن الله وحده، وإن قصرت فمن نفسي ومن الشيطان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

خادم القرآن والسنة

د. عفيف عبدالحافظ الغنيمات.

الأردن، عمان- بتاريخ : 2015/1/30

(1) سورة مريم، الآية (88 - 95).

المصادر والمراجع

كتب الحديث النبوي الشريف:

1-صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، سنة النشر 1407هـ _ 1987م ،الطبعة الثالثة، د.مصطفى أديب البغا

2-صحيح مسلم ،مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

3- جامع الترمذي ،محمد بن عيسى ، دار احياء التراث

4-سنن أبي داود، سلمان بن الأشعث، المكتبة العصرية، بيروت صيدا

5-سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى 1407هـ

6-مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، بيروت، بدون طبعة.

7-صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة، المكتب الاسلامي، بيروت، 1970هـ، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي

8-صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية 1993م، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا

9- مسند أبي يعلى : أحمد بن علي الموصلي، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، سنة النشر 1984 ، تحقيق حسين سليم اسد

10- شعب الإيمان: أحمد بن حسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ ،تحقيق محمد سعيد بسيوني

11-المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثالثة سنة النشر 1404هـ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي

12-المعجم الأوسط للطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، دار الحرمين، القاهرة، سنة النشر 1415هـ

13- مصنف ابن أبي شيبة :عبد لله بن محمد ابن أبي شيبة ، دار الفاروق، مصر، سنة النشر 2009م ، تحقيق أسامة إبراهيم .

14شرح السنة للبغوي، الحسين بن مسعود البغوي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية -1982م.

15-المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ،1990م ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا .

كتب التفسير

1-تفسير القرآن العظيم : الحافظ ابن كثير الدمشقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1408هـ.

2- جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير الطبري ، مؤسسة الرسالة ، سنة النشر 2000م .

3-الكشاف ، الزمخشري : محمد بن عمرو ، طبعة دار الفكر العربي ، مصر سنة 2000م

4- الجامع لأحكام القرآن الكريم : أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى 1427هـ .

5-الدر المنثور . جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .

6- تفسير روح البيان .اسماعيل حقي ، دار الفكر ، بيروت

7 - في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق – القاهرة الطبعة 17 ، 1420هـ

8-تفسير مفاتح الغيب ، الفخر الرازي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة 1420هـ.

كتب السيرة النبوية

1-سيرة ابن هشام : عبد الملك بن هشام،دارالنشر- شركة الطباعة الفنية المتحدة.

2-عيون الأثر محمد بن محمد ابن سيد الناس ، دار القلم ، بيروت ،الطبعة الأولى 1993م.

3- فقه السيرة ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، دمشق الطبعة 11 ، 1996 م .

4-المصباح المضيء ،محمد بن علي الأنصاري الناشر- عالم الكتب - بيروت.

5- الطبقات الكبرى ،محمد بن سعد ، الناشر- دار العلوم و الحكم - المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ،1408هـ.

مصادر أخرى

1-الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،الطبعة الأولى-1415ه .

2- أصول الدعوة ، د. عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة -1988م .

3- البداية والنهاية ، ابن كثير الدمشقي ،دار الفكر ،1986م .

4-تحفة الطالب بمعرفة أحاديث ابن الحاجب ،ابن كثير الدمشقي ، دار ابن حزم ، الطبعة الثانية 1996م.

5-الخراج وصناعة الكتابة ، قدامة بن جعفر ،دار الرشيد ، بغداد ، ط الأولى -1981م .

6-الكنز المرصود ، ترجمة يوسف حنا نصر الله ، بيروت .

7-مدارج السالكين ،ابن القيم الجوزية ،دار الكتاب العربي ،بيروت- ط الثانية– 1996م .

8-مختار الصحاح ،محمد بن أبي بكرالرازي ، الناشر المكتبة العصرية – بيروت ،صيدا ، ط الخامسة – 1999م .

9-مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ،دار الشروق ، 1988م .

10-موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، د.محمد راتب النابلسي ،منشورات دار مكتبي ، دمشق .

11-الموسوعة المصورة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، عبد الكريم الكحيل .

12-النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ،المكتبة العلمية – بيروت- 1979م .

13-همجية التعاليم الصهيونية ، يونس حنا سعد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

14- والله يعصمك من الناس ، أحمد الجدع ، دار الضياء للنشر والتوزيع،عمان ، الأردن ، ط الرابعة ،1986 م .

15- وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى ، 2000م .







دار جليس الزمان
للنشر والتوزيع

الأردن - عمان
شارع الملكة رانية - مقابل كلية الزراعة - عمارة العساف

Tel.: +962 6 5343052 - Fax: +962 6 5356219
E-mail: dar.jaleesalzaman@yahoo.com
dar.jaleesalzaman@hotmail.com



تصميم: نائل هويدي 00 962 79 721 2693


9 789957 812744